صوت النساء

معاً من أجل التحرير ... معاً من أجل بناء الوطن

الخميس ٢٠٠٦/٣/٣٠ - السنة التاسعة - العدد ٢٣٧ | صحيفة تصدر كل اسبوعين تعنى بقضايا المجتمع | Thursday 30 /3/2006 NO 237

الافتتاحية

الامهات الفلسطينيات...

يمر شهر آذا في فلسطين بمناسباته العديدة التي تكرست نتيجة للنضال الفلسطيني أو بسبب النضال العالمي من أجل حقوق بعض الفئات التي همشت أو لم تول الإهتمام الكافي رغم أهميتها في المجتمع أو في إسناد الأسرة.

في شهر آذار نتذكر يوم الكرامة الذي سجل محطة هامة في النضال الفلسطيني، ونتذكر يوم الأرض الذي كان علامة مميزة لارتباط الفلسطيني بأرضه رغم اجراءات طمس الهوية الفلسطينية. نتذكر الأم التي تعطي، وخاصة أمهات الأسرى والشهداء، نتذكر الأسيرات وبخاصة الأمهات منهن واللواتي ولدن في المعتقلات. نتذكر المرأة بأدواره المختلفة التي أبدعت فيها والتي أثبتت بالبرهان أنها قادرة على أن تخترق ميادين العمل والإبداع والوصول الى مراكز صنع القرار المختلفة. نتذكر الطفل الذي لم يول الإهتمام الكافي رغم أنه المستقبل. ونتذكر الأسرة الفلسطينية والتي ساهمت الأم في أن تصمد أمام جميع الهجمات كان ذلك بالاغتيالات، والإبعاد، والاعتقالات، والتهجير ومصادرة الأراضي، وغير ذلك من ضغوطات تمارس بشكل يومي ومنظم.

ومن أجل ان نكون منصفين، علينا أن نترجم تقديرنا لهذه الفئات بالعمل. ليس فقط بمنح النساء اجازة يوم واحد تقديراً، بل علينا ان نترجم هذا التقدير بالمشاركة في المسؤولية وصنع القرار، في التساوي في الحقوق والواجبات. المرأة ليست قادرة أن تكون أماً فقط، هي قادرة أن تكون شريكاً في النضال وقادرة في مجال البناء. وبالمقابل، الرجل يستطيع ان يكون شريكاً هاماً في تربية أبنائه، وفي إدارة شؤون أسرته اليومية كما هو قادر على المساهمة في بناء المجتمع.

لنجعل كل يوم هو يوم الأم أو يوم المرأة، أو يوم الطفل، أو يوم الاسيرات، أو يوم الأرض.... عندها، لن نكون بحاجة الى تكريس يوم خاص لكل فئة كي نتذكرها.

طاقم شؤون المرأة

مع أنهم من فئة الوزراء والنواب والسفراء

أسر الشهداء.. الى متى انتظار المخصصات؟

رام الله - إبراهيم أبو كامش

إذا كانت المشاعر الإنسانية، جياشة في حرارتها تجاه الشهداء الذين نصفهم بفذلكاتنا ومزايداتنا بالأنبل والأكرم منا جميعا، فان تلك المشاعر لا تغني ولا تسمن من جوع، وسرعان ما تتبخر وتتطاير بمجرد مواراة جثامينهم الثرى ومغادرة أضرحتهم، وما أن تنتهي مراسيم مواساتنا لأسرهم حتى تبدأ رحلة الألم والمعاناة لأمهاتهم وزوجاتهم بل والتوسل على أبواب وزارتي المالية وشؤون الأسرى والبنوك والمساجد، وأحيانا في الطرقات والشوارع لإعالة أطفال فقدوا فجأة حنان من كان يرعاهم فداء للوطن والثورة، فان كان رصاص الاحتلال قد قتلهم مرة فإننا نقتلهم في اليوم ألف مرة.

ولأنهم الأرفع درجة، صنفتهم وزارة المالية من فئة الوزراء والنواب والسفراء الذين لا يضيرهم شيء في تأخير مخصصاتهم المالية، وبشكل أكثر دقة رواتبهم التي لم تتجاوز في أحسن أحوالها عن ١٠٠٠ شيكل ، وشتان ما بين راتب الشهيد الذي "يثقل" كاهل موازنة الحكومة إلى درجة تأخيره أكثر من شهر وراتب الوزير والنائب والسفير الذي يتجاوز بضعة الآلاف من الدولارات ... فكيف يمكن أن تستوي الأمور في حسابات وزارة المالية؟

وبعد مراجعات عديدة ومريرة طل علينا الأمين العام للتجمع الوطني لأسر شهداء فلسطين محمد صبيحات بعد طول انتظار ليبلغنا بالخبر اليقين بأن مخصصات أسر الشهداء عن شهر شباط الماضي تحولت إلى البنوك منذ يوم أول من أمس "الثلاثاء" وبامكان أسر الشهداء التوجه للبنوك وتسلمها، وذلك استنادا لما أبلغه به رسميا مدير عام الخزينة في وزارة المالية يوسف الزمر، الذي أكد انه تم تحويل مخصصات أسر الشهداء رغم صعوبة الوضع المالي في السلطة الوطنية، وعلى الفور توجهت بعض الأسر لاستلام مخصصاتها لتجد حساباتها خاوية، وعند معاودة الاستفسار هاتفيا مع الزمر قال الأخير أن الرواتب ستصرف اعتبارا من أمس "الأربعاء".

وقال صبيحات نتفهم الأزمة المالية التي تمر بها السلطة، لكننا لا نتفهم التعامل مع أسر الشهداء وكأنهم درجة ثانية بعد الموظفين النظاميين، ونطالب وزارة المالية بمساواتهم بباقي الموظفين، ونرفض تصنيفهم في فئة الوزراء والنواب والسلك الدبلوماسي، داعيا وزارة المالية بضرورة صرف مخصصات أسر الشهداء في مطلع كل شهر تجنبا للمسيرات والتظاهرات والاعتصامات التي من الممكن اللجوء إليها في حال استمر الوضع على ما هو عليه وبخاصة في ظل الظروف المالية والأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تعيشها تلك الأسر،وأعرب عن خشيته من تكرار الأمر في كل شهر وبالتالي أصبحت القضية مؤرقة لجميع الأسر،علما أن المخصصات تتراوح ما بين ٦٠٠.٥٠٠ شيكل ، وطالب أيضا بتنفيذ قانون حقوق أسر الشهداء الذي أقره المجلس التشريعي في أيلول الماضي بالقراءة الثالثة وصادق عليه الرئيس، حيث يكفل القانون الحد الأدنى من الحياة الكريمة للأسر ليصبح الراتب الأساسي ٢٥٠ دولار ويرتفع حسب الحالة الاجتماعية.

أم الشهيد ماهر الشوعاني "زريفة" ٥٥عام / رام الله، بعد أن اعتذرت زوجة الشهيد عن التحدث قالت أن ابنها استشهد بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١٤ وهو متزوج وأب لثلاث طفلات ، منذ ثلاثة أشهر يتم تأخير الرواتب ، ونعيش ظروف يعلمها الله وحده والمخصص الذي نحصل عليه يا دوب يكفينا أكل ٨٧٠ شيكل لإعالة خمسة أنفار والله لا ينسى من فضله أحد ببعث أهل الخير،وعقبت قائلة حكومتنا مقصره في كل شيء تجاه الشهداء والجرحى والأسرى ، والتقصير زاد عن حده ولم يعد يطاق.

أما والد الشهيد ثائر إبراهيم زيد من مخيم الجلزون فقد قال حفيت قدمي من مراجعة البنك سائلا عن المخصص الذي يرهقنا ويكبدنا خسائر قبل وصوله ويا لايته يساوي شيء فهو لا يتجاوز ١٤٨ دولار بعد أن يحسم البنك منه ٢ دولار وهذا كله لإعالة ٧ أنفار، شو نعمل لمين نشكي همنا ولمين نراجع ، احتجينا لكنهم لا يردون علينا وغير طالع بأيدينا شيء...!!!

الأمهات المسنات...وحيدات في تفاصيل مرضهن وعجزهن...

صفحـــة4

لا تنسوا زوجات الشهداء

صفحـــة5

مخاطر حقيقية تهدد وجود الجمعيات النسوية الريفية

صفحـــة6

عاملات رياض الأطفال ... وصورة أخرى للاستغلال

صفحـــة8

أرقام ومؤشرات

المرأة الفلسطينية العاملة: ما بين مشاق العمل ومتطلبات الأسرة

غزة - جمعة يونس

في ٢١ آذار «يوم الأم» يتسارع الكثير من الكتّاب والصحافيين في الصحف والاذاعات للحديث عن الأم الفلسطينية وتضحياتها كونها أماً وزوجة الأسير والشهيد والجريح.

ولكننا سنذهب إلى أبعد من ذلك من خلال هذا التقرير لنتحدث عن الأم الفلسطينية العاملة، لنبحث في جنبات حياتها ونتحدث عن الأم الفلسطينية المكافحة صاحبة البصمات التربوية والاجتماعية والسياسية والتي توازي بين متطلبات بيتها وابنائها وبين واجبات عملها.

كثير من الأسئلة طرحت في حلقة نقاش دارت بين عدد من الأمهات العاملات بشكل تلقائي والتي خرجت من رحم عشرات القصص التي حملتها في جعبتهن فكانت معظم الأسئلة تتمحور حول مدى قدرتهن على التوفيق بين عملها ومتطلبات بيتها، حيث طرحت الكثير من وجهات النظر والتجارب العملية، حيث أجمعن على أن المرأة الفلسطينية باستطاعتها أن تتقدم الصفوف وتقود المجتمع واثقة الخطى محافظة على بيتها.

٩،٤٪ نسبة الأمهات العاملات

الجهاز المركزي للاحصاء في تقرير صدر عنه عن العاملات الفلسطينيات أكد فيه أن نسبة الأمهات المشاركات في القوى العاملة خلال العام ٢٠٠٥ في الأراضي الفلسطينية بلغت ٩،٤٪ بواقع ١١،٤٪ في الضفة الغربية و ٥،٦٪ في قطاع غزة، فيما بلغت نسبة مشاركة الأمهات في القوى العاملة في الريف ١٠،٧٪ مقارنة مع ١٠،٢٪ في الحضر و ٤،٨٪ في المخيمات، في حين بلغت نسبة الأمهات العاطلات عن العمل ١٤،٩٪ خلال العام ٢٠٠٥.

أما بخصوص أهم المهن التي تستقطب النساء فنجد أن حوالي ثلث النساء اللواتي سبق لهن الزواج يعملن فنيات ومتخصصات وكتبة، وحوالي ١٩،٩٪ يعملن في الخدمات مقارنة بـ ٤،٢٪ يعملن كمشرعات وموظفات ادارة عليا.

وعندما تغلق اسرائيل المعابر أمام الفلسطينيين تعاني آلاف الأسر المشكلات الاقتصادية، وتضطر المرأة الفلسطينية الى مضاعفة جهودها للاسهام في دخل الأسرة، حيث ترتفع النسبة من النساء أثناء اغلاق المعابر الحدودية وتنخفض بعد أن تنفتح.

ويتركز العمل النسائي في القطاع الزراعي بنسبة ٣٣٪ والخدمات بنسبة ٢٢٪ والصناعة بنسبة ١٤٪ والأجور في هذه القطاعات عادة ما تكون منخفضة.

أثر عمل الأم على الرقي الاجتماعي والتقدم الدراسي للأبناء

تخصص الأمهات العاملات ساعات أقل من وقتهن مقارنة مع ربات البيوت لرعاية أبنائهن الا أنهن يستثمرن هذه الساعات بشكل أفضل من غيرهن، حيث تشير الأبحاث الى أن بنات الأمهات العاملات يعتبرن امهاتهن شخصيات مستقلة، تتمتع بثقة عالية بالنفس وقدرة على أداء أدوار اجتماعية لائقة بهن بينما يبدو أن الذكور من أبناء الأبوين العاملين خارج البيت يفتقدون الشعور بالاستقرار والثقة بالنفس والمستوى الدراسي الذي يحظى به غيرهم كما انهم لا يبدون جدارة أترابهم في اختبارات الذكاء «غيلد واندروس ١٩٩٠».

وتتأثر حصيلة عمل الأم ورعايتها لأبنائها الى حد بعيد بنوع العمل الذي تؤديه خارج البيت وواقعها المهني ومدى الالتزامات المتطلبة منها. إن المهمة التي تشعر الأم خلال انجازها بمكانتها وجدارتها وبالرضا والارتياح، إنما تدفع علاقة الأم بأبنائها نحو الأحسن. ويحدث خلاف ذلك في حالة شعور الأم بالارهاق الجسمي والنفسي جراء عملها ما يفقدها الثقة بالنفس ويترك آثاراً سلبية على علاقاتها بأبنائها وسلوكها معهم. الأم الفلسطينية ايمان عبد الرحمن تقول إنه عندما تقرر الزوجة الأم الخروج إلى العمل، فإنها تقع في حيرة لصعوبة اتخاذ مثل هذا القرار، حيث تجد نفسها بين ضغوط الرغبة الذاتية في تحقيق شخصيتها واستقلاليتها المادية، وضغوط واجباتها ومسؤولياتها والتي أثبتت التجربة أنه لا أحد آخر يستطيع القيام بها كما ينبغي، إلا أنه يجب التفكير في هذا الأمر من منطلق الترجيح بين الفوائد والاضرار القائمة والمتوقعة، فإذا كان البيت ينقصه الكثير من الضروريات وأمكن تدبير أمر الأبناء ورعايتهم، فهنا قد يرجح قرار الخروج الى العمل. أما إذا كان غير ذلك ولمجرد ميل شخصي للمرأة، فإن عليها أن تعلم أن أهمية تربية الأبناء ترجح ما عداها من الفوائد المحتملة.

وتضيف عبد الرحمن بأنه يتعين على الأم أن تدرك أن رعاية الأطفال لا تعني التواجد بينهم والجلوس معهم فقط، وإلا تحول دورها الى مجرد جليسة للأطفال، وان دور المرأة كأم هو نشاط مهم يستمر مدى الحياة، فالطفل يحتاج الى الرعاية والدفء والحنان، وتلك مكونات ضرورية لنموه الصحي السليم، ولأنه لا يتوقع من أي انسان آخر أن يوفر هذه المكونات، فالمربيات قد يحضن الطفل ويهدهدنه ويطمئنه، إلا أنهن لا يحملن العواطف نفسها التي تحملها الأم لطفلها.

أما نهيل البرنية، والتي تعمل مدرسة لمادة علم النفس تتحدث لنا عن تجربتها كأم وكامرأة عاملة وتقول «تعيش الأم في خضم عدد من الهواجس والأسئلة التي تتصل برعاية أفراد الأسرة في غيابها ومن سيقدم لهم تلك الرعاية، وهل ستكون تلك الرعاية بالمستوى نفسه الذي تتطلع اليه».

للاتصال او للمراسلة مع طاقم شؤون المرأة

المشرف العام : روز شوملي مصلح
المحرر المسؤول : لبنى الأشقر

شارع الارسال – مركز عواد
ص.ب : ٢١٩٧ رام الله
هاتف : ٢٩٨٦٤٩٧ – فاكس: ٢٩٦٤٧٤٦
بريد الكتروني: (watc__media@palnet.com)

مطابع الأيام ٢٩٨٧٣٤١/٤ فلسطين - رام الله
تطبع في مطابع الايام

شارون يغتالهن أحياء وأمواتاً

الجدار يبتلع جثامين "نساء قطنة" ويلتهم حكايتهن !

رام الله - يوسف الشايب

لم يكتف رئيس الوزراء الإسرائيلي، آرئيل شارون، الذي نحاه المرض قصراً عن جرائمه، باغتيال صفية محمد محمود شماسنة، وآمنة عيسى عبد الحليم الفقيه، وحليمة حسن أحمد طه. من قرية قطنّه شمال غربي القدس، عندما كان قائد لكتيبة الاحتياط في جيش الاحتلال في العام ١٩٥٢، بل انتهك طهارة أجسادهن بجداره اللعين، الذي قررت سلطات الاحتلال لسلاسة حضوره في القرية، التهام الأرض التي تضم جثامين "نساء قطنة"، وهي ذاتها التي عبّر فيها شارون عن تعطشه لسفك دماء الفلسطينيين، حتى لو كانت "الجريمة" انتشال الماء من بئر في أراضي القرية.

كلها أيام أو ربما أسابيع، ويبتلع الجدار الحكاية، المعاول والجرافات بدأت العمل في "قطنة"، وقرارات المصادرة في استمرار، إلا أن لمصادرة "عين الناموس"، وهي المنطقة التي قتلت فيها صفية وآمنة وحليمة، وقع مختلف، ليس فقط على أقاربهن، بل على طهارة الجسد الفلسطيني المسجى، وعلى ذاكرة شعب بأكمله، ودلائل تدين السفّاح شارون، فإسرائيل لم تغتصب حياة "نساء قطنة" فقط، بل موتهن أيضاً، وهنا الفاجعة.

ولنستعرض الحكاية سوياً: بين الأعوام ١٩٥٢-١٩٥٣ كان شارون طالباً في الجامعة العبرية في القدس، عندما عيّن قائداً لكتيبة الاحتياط، وبمرور أيام معدودة على تعيينه جمع ضباطه وقال لهم إن مواطنات القرية العربية، قطنة، اللواتي يذهبن إلى بئر الماء تقطعن عملياً الحدود (دون أن تدرين) مما يمس بالسيادة الإسرائيلي، وادعى شارون المعروف بـ"اريك" أن الحدود بين المستوطنة الإسرائيلية "معاليه هحميشاه"، وقرية قطنة غير مرسوم بشكل واضح، وأن سكان القرية غالباً ما يخترقون الأراضي الإسرائيلية، ومن أجل تصحيح "هذا الخطأ"، أمر بنصب كمين لإطلاق النار على النساء اللواتي ينشلن الماء.

وبالفعل وضعت وحدة الرماة في الكمين في حالة تأهب لحالة رد مدفعي على إطلاق النار على النساء، وأمر شارون ضباطه بالحفاظ على سرية خطته كي لا تصل إلى مسامع قيادة المنطقة الوسطى أو للأركان العامة، وهذا ما ورد في كتاب "شارون: قيصر إسرائيلي" لأوزي بنزمان.

ونفذ السيناريو الرهيب، فقد نزل التلة ليلاً أربعة ضباط، وقتلوا ٣ نساء من بين أربع خرجن لجلب الماء من بئر القرية، وفتحت المدفعية الأردنية النار باتجاه القرى الإسرائيلية المجاورة، وردت المدفعية الإسرائيلية بالمثل، وانتهت الحادثة بتدخل مراقبي الأمم المتحدة القيمين على اتفاقات وقف إطلاق النار.

وللحكاية تتمة على لسان عزمي بشارة، العضو العربي في الكنيست الإسرائيلي، الذي كان له الفضل في الكشف عن أسماء الشهيدات الثلاث، ويقول: توجهت إلى قرية قطنّه وصحح السكان معلوماتي، ففي تلك الليلة قتل ثلاث نساء وليس اثنتين، كما تقول المراجع الإسرائيلية، وقد طلبت الأسماء التي لم تنشرها هذه المصادر .. كان من المهم أن اثبت الأسماء في مقال لي كونهن أول نساء عربيات قتلن بأمر من شارون في عملية عسكرية.

ويتابع بشارة: اتصلت بأوزي بنزمان مؤلف كتاب "شارون: قيصر إسرائيلي" لأتأكد أن النساء قتلن وهن في طريقهن إلى بئر القرية، فأكد أن مصدره "أشخاص كانوا هنا .. جنود في نفس الوحدة، وخدموا مع شارون".

ويعود بنزمان ليقول: ظل ضباط الكتيبة بعد سنوات يذكرون الحادث بمرارة، فقد خاض شارون معركة من دون سبب، ووبخ جندياً رفض قتل النساء!

ويروي فؤاد شماسنة، رئيس مجلس بلدي قطنة، فصولاً أخرى من الحكاية، فيقول: كن عائدات من أراضيهن الزراعية، وتم تصفيتهن برصاص وحدة عسكرية إسرائيلية بقيادة شارون، وألقيت جثثهن في مغارة بمنطقة "عين الناموس"، غرب قطنة، وهناك قرر أقاربهن وأهل القرية دفنهن لتبقى الأرض شاهدة على الجريمة، إلا أن جدار الفصل العنصري جاء لينتزع هذه الأرض من أراضي قطنة، ويصادرها لتصبح حسب حدود "أولمرت"، رئيس الوزراء الإسرائيلي المرتقب، أراض تابعة لدولة إسرائيل!

رسالة من إضراب النساء العالمي بمناسبة يوم المرأة العالمي

تحت شعار «انهاء الفقر، الحروب، والدمار البيئي»

إلى السيدة نهلة قورة رئيسة طاقم شؤون المرأة.

نود أن نعبر لك عن بالغ سعادتنا وسرورنا لاستلام رسالتك الكريمة. وكما شاهدت على موقعنا على شبكة الانترنت هنا في بريطانيا وفي دول أخرى، فإننا نحاول ونسعى لاطلاع الناس . خصوصاً المرأة . على أوضاع الفلسطينيين، ابتداءً من المرأة. ولقد كنا نشيطين ضد الصهيونية، وخصوصاً في الولايات المتحدة، حيث كنا نحاول تنظيم مقاطعة للبضائع الاسرائيلية. كما قدمنا الدعم أيضاً للمرأة في جيوس، خلال احدى مظاهراتها ضد الجدار. لكن لم يكن لدينا حتى الآن علاقة عمل مستمرة مع المرأة في فلسطين خصوصاً المرأة على المستوى الشعبي. نود أن نروج ونعمل دعاية لمظاهرتكم على شبكتنا، ونقترح أن يوفروا الدعم لمسيرتكم في أية فعاليات ينظموها مع منظمة ekirtS لمناسبة أسبوع المرأة العالمي هذه السنة. الرجاء أن ترسلوا لنا، وعلى وجه السرعة، المزيد من المعلومات حول المسيرة، حيث يسرنا أن نعرف على سبيل المثال، أين ستكون هذه المسيرة، من أين ستأتي النساء، كيف سيسافرون الى المسيرة، ما هي مطالب المسيرة، ما هو رد الفعل الذي تتوقعونه في ذلك اليوم، وأية معلومات أخرى تودون اطلاعنا عليها. هناك القليل من المعلومات عن المرأة الفلسطينية، وبالتالي، فإنه من الضروري جداً أن نتكلم أكثر ما يمكن، كيف يؤثر الجدار على الحياة اليومية للمرأة، بصفتها الطرف الرئيسي الذي يعتني بالأسر والمجتمعات المحلية. سوف نمرر كل هذه المعلومات بشكل مباشر الى النساء اللواتي يستطعن نشر وتوزيع هذه المعلومات في فعالياتهن ونشاطاتهن، ويوضحن انهن يدعمن أيضاً المرأة في رام الله والمسيرة.

كما اننا نود أن نوجه رسالة دعم، ونستطيع وضعها على موقعنا على شبكة الانترنت. أما الفعالية العامة الأولى التي ستقوم بها منظمة سترايك «الاضراب» Strike في لندن هي عقد اجتماع عام في مركز النساء لدينا مع ثلاث نساء من أبو ديس (يوم الاثنين الموافق ٦ آذار). (انظر الصفحة الأولى الحالية لموقعنا على شبكة الانترنت .http://www globalwomenstrike.net.سيكون عظيماً لو استطعتم ارسال المعلومات باللغة الانكليزية، لكننا نستطيع ترجمتها الى اللغة العربية، كما سنقوم أيضاً بترجمتها الى لغات أخرى، خصوصاً الى اللغة الاسبانية (حيث تستطيعون أن تروا من الخطاب المرفق، أن لدينا علاقة عمل جيدة مع النساء النشيطات في الثورة الفنزويلية. كما نريد أن نفكر في كيف سنعمل معكم في ذكرى يوم الأرض الذي يصادف الثلاثين من شهر اذار، حيث تعيش بعض النساء الأعضاء في منظمة سترايك في بلاد تحرم فيها المرأة من الأرض. كما جرى منح النساء في فنزويلا أراضي بشكل خاص، حيث جرى ارساء وتثبيت ذلك في الدستور البوليفي. ونريدكم ان تعلموا أننا ندرك دائماً أن الاحتلال أكثر قسوة بالنسبة للنساء اللواتي يعملن من أجل المحافظة على حياة وبقاء وتماسك أسرهن. بالرغم من الوحشية والتهديد المستمر للحياة. كما اننا نفترض أنه لو كان صوت المرأة أعلى، فإن اتجاه الصراع ضد العدو سيكون أكثر فعالية. نحن لا نتكلم عن بضع نساء في القيادة . اللاتي يتصرفن عادة مثلما يتصرف الرجال. نحن نتكلم عن المرأة على المستوى الشعبي المتجذرات في الواقع الذي يتطلب المحافظة على إطعام الجميع وتشغيلهم، واللواتي يرسمن ويوضحن دون شك الطريق . لكن عملهم غير واضح للآخرين من الخارج.

* للمنظمة فروع في ٦٠ دولة منها الهند وايرلندا والمكسيك واوغندا والولايات المتحدة وفنزويلا.

بمناسبة يوم المرأة العالمي

تكريم خمس نساء من رائدات العمل الاجتماعي والفني في جامعة بيت لحم

خاص -صوت النساء

" لان المرأة المبدعة تستحق التكريم ولأن اليوم العالمي للمرأة مناسبة تتيح لنا كل عام أن نتوقف لنراجع ما قدمته المرأة التي تمثل نصف المجتمع وأيضا مناسبة تتيح لنا مراجعة الحقوق التي حصلت المرأة عليها، والأخرى التي ما زالت تطالب بها".

قامت عمادة شؤون الطلبة في جامعة بيت لحم بمناسبة الثامن من آذار-يوم المرأة العالمي بتكريم خمس نساء من رائدات العمل الاجتماعي والمؤسساتي والفني والتربوي، وهن عطاف عبدالله رصاص من بيت لحم وفيرا تماري وعادلة العايدي من رام الله، وجانيت غطاس من بيت ساحور ودورين منير من القدس. كما اشارت العميدة المساعدة لشؤون الطلبة في جامعة بيت لحم فيرا بابون.

الاحتفال نظمته عمادة شؤون الطلبة في جامعة بيت لحم في قاعة المركز الثقافي في الجامعة بمناسبة يوم المرأة العالمي، بحضور نائب الرئيس الأعلى للجامعة دانيال كيسي وعدد من مسؤولي وأساتذة وطلاب وطالبات الجامعة وممثلو المؤسسات الأهلية في المحافظة، وأعضاء مجلس اتحاد الطلبة، والفعاليات الثقافية والاجتماعية والفنية في المحافظة، وحشد كبير من.

هبة سمارة باسم مجلس اتحاد الطلبة ولجنة أخوات الشهيدة دلال المغربي اشادت بدور المرأة في مسيرة كفاح شعبنا، وبدورها التربوي والاجتماعي والتنموي في بناء المجتمع ومؤسساته المختلفة.

وشكرت الفنانة فيرا تماري جامعة بيت لحم على تكريمها بهذه المناسبة، وقالت بأن هذا التكريم يأتي بعد ٣٠ عام في عملها بمجال الفنون والثقافة.

وتحدثت عن تجربتها الفنية ودورها في إبراز أهمية الموروث الثقافي، وأوضحت أن ذلك كان شكلا من أشكال النضال الوطني لإبراز الهوية وملامح الشخصية الفلسطينية.

عطاف رصاص رأت أنها كرمت نتيجة لتجربتها في مجال التربية والتعليم والعمل الاجتماعي التطوعي في المؤسسات الخيرية كان لها أثر كبير في تعزيز انتمائها ودورها في البناء والانخراط بشكل واسع في العمل الاجتماعي.

عادلة العايدي مديرة مركز خليل السكاكيني الثقافي سابقا دعت إلى تعزيز هذا التقليد في المؤسسات ودعت المرأة إلى السعي للتميز والتوسع في المعرفة، واكتساب المهارات وثمنت دور الجامعة في تعزيز مكانة المرأة وتكريمها إلى جانب زميلاتها من رائدات العمل الاجتماعي والثقافي والمؤسساتي.

في حين تحدثت المكرمة جانيت غطاس عن تجربتها في مجال التربية والتعليم خلال ٣٥ عاما متواصلة، وفي مجال العمل التطوعي في مؤسسات محافظة بيت لحم وشكرت الجامعة على تكريمها بهذه المناسبة.

الفنانة دورين منير شكرت جامعة بيت لحم على تكريمها، وقالت أن هذا التكريم سيشكل لها حافزا على تعزيز دورها في مجال الثقافة والفن المسرحي.

وفي نهاية الاحتفال قام نائب رئيس الجامعة، وفيرا بابون بتقديم الدروع التكريمية للمكرمات، وقدمت فرقة الفنون الشعبية استعراضات فنية فولكلورية.

بعد تردي الوضع الاقتصادي في محافظة نابلس

نساء يشاركن أزواجهن تحمل أعباء الحياة اليومية

نابلس - محمد جمال

لم يكن أمام صباح خالد طبوق متزوجة ولديها (٤) أولاد من مدينة نابلس (البلدة القديمة) الا أن تخرج عن صمتها باحثة عن فرصة عمل تحسن فيها من دخل عائلتها نتيجة للظروف الاقتصادية الصعبة التي فرضتها اسرائيل على المواطنين. وذكرت طبوق «أخذت دورة في الخياطة في مركز تأهيل الفتيات التابع للشؤون الاجتماعية في المحافظة، والتحقت بدورة تأهيلية اخرى تعلمت فيها كيفية خياطة الستائر في مركز الشيخ خليفة، وأنا اليوم أعمل لحسابي الخاص من خلال اقامة مشغل للخياطة».

وأضافت «اصبحت المصدر الرئيسي في تأمين احتياجات البيت وخصوصا بعد توقف زوجي عن العمل داخل اسرائيل قبل خمس سنوات بداية الانتفاضة، ولكن تبقى المشكلة الكبرى لديّ في كيفية تسديد القروض التي اخذتها ضمن «مشروع تمكين» الممول من ميزانية وزارة العمل والشؤون الاجتماعية».

أما عن أميرة ملحيس (٣٣ عاماً) فأتقنت مهنة التجميل بعد الالتحاق بدورة خاصة في مركز تابع للشؤون الاجتماعية ضمن المشروع نفسه والذي أتاح لها الفرصة في أن تساهم ولو بشيء بسيط في تأمين الحاجات الاساسية لأسرتها وبيتها. وناشدت ملحيس مؤسسات المجتمع المدني لأجل العمل على دعمها في انشاء صالون تجميل خاص بها يمكن اقامته في بيتها نظراً لعدم موافقة أهلها على العمل خارج البيت انطلاقاً من مفهوم ان الزوج يجب ان يعمل وينفق على زوجته وعائلته، والأمل يحدوها في أن يتيح لها مكتب العمل فرصة ثانية من أجل العمل على بند البطالة.

واضافت «بعد انهاء عدة دورات تأهيلية تغير مجرى حياتي وحياة أولادي وأصبحت شخصيتي اكثر قوة بحيث أمتلك اليوم قدرة لتحمل مسؤولية أولادي وبيتي، ويعود الفضل في ذلك الى مديرية الشؤون الاجتماعية لمساهمتها المباشرة في تحسن وضعي الاقتصادي والنفسي والاجتماعي».

تجربة مميزة

وكانت تجربة أسماء البحش (٢٢ عاماً) مع مديرية الشؤون الاجتماعية في نابلس مميزة بعد حصولها على دورة في السكرتاريا والكمبيوتر بمساعدة برنامج «تمكين» الذي اتاح لها فرصة العمل بعد تأمين ماكنات تصوير وطباعة وضعت في غرفة من غرف المديرية في المحافظة.

وتذكر البحش بأنها: أنهت دراسة الثانوية العامة (التوجيهي) وجلست بعد ذلك في البيت نظراً لعدم قدرتها على تأمين القسط الجامعي بسبب الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعاني منه عائلتها.

وتضيف «أصبح طموحي كبيراً جداً في أن أمتلك مؤسسة للخدمات الجامعية ليعمل معي عدد من الفتيات المتعلمات ليصبح بمقدور المرأة الفلسطينية الاعتماد على ذاتها، ولم يأت هذا الطموح الا بعد مشاركتي في البرامج التأهيلية التي قدمت لنا من قبل الشؤون الاجتماعية وخصوصاً وحدة المرأة فيها».

ومن جانبها، قالت حنين جردانة رئيسة قسم المرأة في مديرية الشؤون الاجتماعية في محافظة نابلس إن مشروع «تمكين» جاء نتيجة آلية عمل بدأت بها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في نيسان ٢٠٠٣ بالتعاون مع بعض الوزارات والجمعيات المحلية على مستوى الوطن، مستهدفين النساء اللواتي استفدن من برامج الشؤون الاجتماعية من خلال تعبئة استمارة تدل على قدرة المرأة التي تنطبق عليها شروط المشروع، حيث استفادت منه حتى الآن في المحافظة (٥٠٠) امرأة.

وأضافت «اشتمل المشروع على مجموعة من محاضرات التوعية والإرشاد للنساء المستفيدات في المجالات القانونية، وكان منها التركيز على حقوق المرأة من خلال مشاركتها في صناعة القرار السياسي الفلسطيني».

وبينت حنان جاموس مرشدة المرأة في المديرية الصعوبات التي واجهت المشروع في المحافظة والتي تركزت حول عدم وجود الوعي الكامل لدى النساء من ناحية الالتزام بالدورات التي طرحها مشروع تمكين.

هذه نماذج لمجموعة من النساء اللواتي رفضن الاستكانة للظروف الاقتصادية الصعبة التي فرضها الاحتلال الاسرائيلي على مدينة نابلس، ما حولها من عاصمة اقتصادية للدولة الفلسطينية المنتظرة الى عاصمة الفقر.

ملء الفصول الأربعة

كوثر الزين

أغمض عينيه الرماديتين وانسحب حاملاً معه كل طقوسه المائية.

رحل الشتاء على امل اللقاء، وقد غسل المطر الارض من كل شوائبها، لكي تليق بثوب ربيعها الاخضر. والاخضر اجمل ألواننا، فكوكبنا اخضر، وربيعنا اخضر وقلبنا اخضر، وحلمنا اخضر ...

اما انا فقد رأيت الأخضر في عيني امي قبل ان أفقه معنى الربيع، وعشقت ربيع عيونها قبل ان اعي الفصول، كانت عينا امي ربيعاً اخضر حين كنت لا ازال احبو على بستان صدرها.

لذلك، كلما اقبل ربيع جديد لثمته شفتاي بشغف طفولي واستنشقته رئتاي استنشاق مَن يستقبل الحياة لأول مرة. وكأن الشتاء بحميميته ودفء انطوائه، رحم يقذفني الى حضن امّي الحياة.

ككل عام، يقبل الربيع. يعلن عن قدومه اذار ويُشرِع له نيسان بوابته العريضة المدلاة الزهور.

اسأل حبيبي الذي يضيق ذرعاً ببرودة الجو وثقل الملابس وكآبة السماء: «ما شعورك وحبيبك الربيع القادم»؟ فتأتي اجابته متماهية مع مزاجه المتفائل العاشق للفرح:

«شعور انفراج بعد ازمة يا حبيبتي، ليت كل سنة ربيع وصيف، اشراق وانطلاق وضياء».

ولكنني احب كل الفصول يا حبيبي. ما اجمل ان نعيش في هذه النقطة من الارض لننعم بالفصول الاربعة. ما اجمل ان نغير نمط حياتنا اربعا، ونمط ملابسنا اربعا، ونوع مشروباتنا ومأكولاتنا اربعا، واماكن زياراتنا اربعا، ما اجمل ان نستقبل الحياة بنَفَس جديد اربع مرات في السنة، فيتغير مزاجنا ونحن ننتقل بينها ونكسر ثقل الرتابة على مدرّج تقلباتها! يبعثرنا الخريف ويلملمنا الشتاء اخرى، يطلقنا الربيع ويجتاحنا الصيف. ما اجمل ان نعيش الاشتياق لفصل جديد كل آخر فصل، وان ننغمس في فوضى التغييرات اللازمة وننشغل بها عن همومنا وروتين حياتنا!

جميل ان نعيش الحب في كل الفصول، فيتجدد الحب ويغير عباءته بتجددها. جميل ان يرتدي الحميمية في الشتاء خلف المدفئة، وتحت واقيات المطر. بل جميل أن نمشي تحت المطر كدمعة أسقطتها السماء، وأن نحتمي من قشعريرة البرد بعناق أبدي على رصيف مستسلم لعناق الطبيعة الأزلي. جميل أن يغسلنا المطر ويغسل ما حولنا ليمنحنا نقاء الثلج ونفساً من هواء القمم البكر. جميل أن تتطهر الشوارع من تلوثها وأن يركض السيل كأيامنا، وأن تغزو رائحة التراب المبلل مجرى تنفسنا لنشتم أصل تكويننا الطبيعي بمعزل عن مستحضرات العطور العالمية.

جميل أن نخلع عنّا المعاطف وننطلق عراة من همومنا كالفراش تحت أشعة الشمس. نلثم خضرة الربيع وخضرة شفاهنا وخضرة آمالنا الباقية. أن نحلق مع العصافير العاشقة وهي توصل زرقة السماء بزرقة البحر. أن نكتشف الحياة من جديد ونحبها من جديد مع كل برعم يصعد من الأرض لأجل أن نراه ونتعلم منه فن الحياة وأصول النمو والتطور حتى لا نخجل من صغر بداياتنا.

جميل أن يسافر الحب في ليالي الصيف الساهرةعلى مواويل القمر. أن يتحرر من قيوده ويستسلم للنسائم المسائية العبقة. أن يذوب تفانياً تحت وهج الحر يستلذ بمياه النبع وهي تلامس أطراف احتراقه. جميل أن نتعلم من الصيف انفتاحه المسالم حين يعقد البحر معاهدة صلح مع السفن الراحلة ويعتذر الغاب عن وحشته الشتائية.

جميل أن يعلمنا وضوح الصيف كيف نشتاق غموض الخريف وكيف نفك الرموز من تحت كثافة الغيم وصفرة الرؤية. جميل ان ينذر الحب مرة كل سنة أوراقه الصفراء للرياح، وأن يثور ويتمرد في وجه شيخوخته حتى يستطيع أن يجدد دماء شبابه الدائم وأوراق شبابه الأخضر. وجميل أن نجلس على مقاعد الطبيعة لنقرأ في مدرسة الأشجار العارية حكمة الموت والحياة ولغز الصيرورة.

كم هو جميل أن يشحننا صفار الخريف بشوق جنوني لبياض الثلج، وأن يغرينا الثلج بالعشب ويضرب لنا العشب موعداً مع السنبلة لنشتاق رذاذ الخريف وضبابه. ولتستمر دورة حياة أخرى. ولنحب ونظل نحب ملء الفصول الأربعة.

عندما يسلب الاحتلال الأمومة والحرية!

رام الله - محمود الفطافطة

لم تكتف اسرائيل باعتقال النساء الفلسطينيات وزجهن في اقبية التحقيق وخلف القضبان ليواجهن مرارة الزمن وقسوة ايامه، بل تجاوز ذلك ليحرمن من رعاية فلذات اكبادهن عبر سياسة اسرائيلية بشعة تستهدف (بتر) نفسية هذه المرأة الاسيرة، وجعلها تعيش في قهر النفس، وصراع عاطفة الامومة التي لا توازيها عاطفة.

هذه السجون الاسرائيلية التي هي مدافن الاحياء كما وصفها الكاتب وليد الهودلي كعنوان لاحد مؤلفاته تحتضن اكثر من (١٢٠) امرأة منهن (٢٠) من الامهات اللاتي اجبرن على ترك اطفالهن باستثناء بعضهن اللواتي استطعن بشق الانفس ادخال ابن او ابنة حتى تتعانق ارواحهما، ويخففا عنهما قدر المستطاع من لعنة هذا المدفن.

ورغم ان القانون الاسرائيلي يجيز للامهات المعتقلات رعاية اطفالهن الذين لا تتجاوز اعمارهم السنتين داخل السجن، الا ان ادارة السجون الاسرائيلية تخرق هذا القانون لتحرم بذلك الحق المقدس في ان تربي الام وليدها. اسرائيل تريد من ابطال هذا الحق بث رسالة للام الاسيرة اولا، ولكافة نساء فلسطين ثانيا بأن العقاب لن يقتصر على حبس الجسد فحسب، وإنما يتعدى لفصل الامومة وحرمانها في ان تنشأ بصورة طبيعية وفطرية.

هذا السلوك الاسرائيلي ليس غريبا او جديدا، ليس غريبا لان اسرائيل دولة احتلال، هدفها الاساس مصادرة اية بسمة تنطلق من اعماق القلوب، كما وأنه ليس بالجديد بسبب امتهان اسرائيل تعذيب الفلسطينيين بوسائل شتى، فضلا عن احترافها وإدمانها على خرق حقوق الانسان ومواثيق الشرعية الدولية وحتى القوانين التي تضعها هي بنفسها، كحال هذا القانون.

ونتيجة لخوض بعض الامهات الاسيرات معارك البطون الخاوية، فضلا عن الضغوط المتواصلة على ادارة السجون من قبل مؤسسات حقوقية فلسطينية ودولية، فقد نجحت عدد من الحالات في تحقيق اهدافها، كان اخرها حالة الطفلة عائشة ابنة الاسيرة عطاف عليان (محكومة اداريا)، حيث نفذت اضرابا مفتوحا عن الطعام لمدة (١٨) يوما متواصلا لتنجز بذلك املها الكبير في ان ترى طفلتها البالغة من العمر السنة والنصف.

الامهات الاسيرات اللاتي لم يستطعن لغاية الان رؤية اطفالهن اكثر من تلك اللواتي نجحن في استرداد هذا الحق الطبيعي، ما يستوجب التحرك السريع والجاد من كل الذين يملكون ناصية المسؤولية وحسب الطفولة البريئة حتى ينهوا (مجزرة الامومة) التي تستخدمها ادارة السجون الاسرائيلية كأداة ضغط نفسي، مدروسة ومنتظمة، بحق من كان مصيرها الاعتقال الذي افرز لها قيدا للحرية وعراكا مع شوق الامومة الذي لم ولن ينطفىء الا باحتضان الروح بالروح.

وفي اطار موضوعنا هذا، فإن الامر يستلزم منا التطرق الى اقسى اساليب الاضطهاد والتعذيب الممارسة من قبل اسرائيل بحق الامهات الاسيرات خصوصا عندما يكن حوامل اثناء اعتقالهن، وبالتالي يضطررن للوضع داخل المعتقل، عملية الولادة هذه عسيرة جدا، فعلاوة على الم المخاض وعذاباته، تقوم ادارة السجن بتقييد ارجل وأيدي المعتقلة في زوايا سرير الولادة ليضاعف ذلك من معاناتها التي لا توصف.

وتتجدد المعاناة هذه عندما يبصر هذا الطفل ظلمة السجن لا نور الحياة وحريتها ولتتكاثف عندما لا يجد المولود ووالدته رعاية مناسبة من قبل هذه السجون التي لا تقام الا لقهر ارادتنا وتغييب مشاهد وعناصر الامومة الجياشة لدى اسيراتنا، ولكن انى يكون لعنائها ذلك!

وبهذا، فإن الصراع بين (الامومة المعذبة) من جهة، والتحدي بين الجلاد وتلك النسوة المناضلات من جهة اخرى سيحتدم ويستمر، لان هدف هذا الجلاد هو الاستمتاع بتعذيب ضحيته من خلال استلابه لاهم حقين مقدسين في الحياة هما: الحرية، والامومة عملية السلب هذه هي المسبب المادي والرئيس في ان تتحدى الام الاسيرة بطش السجان وظلمة السجن لتضمن على الاقل احد هذين الحقين ولو كلفها ذلك جوعاً قاهراً او موتاً شريفاً.

الأمهات المسنات...وحيدات في مرضهن وعجزهن...

رام الله: صوت النساء

لعل عشرة أبناء لم يكن كافيا لتجد احدهم إلى جانبها في عيدها فبقيت حبيسة غرفتها...تتذكر أيام كانوا صغار قبل عقود وكيف أضحت مسكونة بعجزها وعمرها الذي تجاوز السبعين... وحيدة في بيت تملأه أشباح الماضي حين كان يحوي خمسة صبيان وخمس فتيات لا يتركون والدتهم إلا لمدرستهم ليعودوا مسرعين إليها...حسبما قالت...

و أضافت: " وهم صغار نعطيهن كل شيء وقتنا وعمرنا وصحتنا وحياتنا لنكبر ويكبروا ونصبح عاله عليهم ننتظر رحمة من الله تنزل في قلوبهم كل حين ليتذكرونا في عجزنا ". و أم ناصر والتي تعاني من مرض السكر والروماتيزم والتي لا تجد في كثير من الأوقات احد ليساعدها في شرب كأس الماء، و بالرغم من عدم اعتراف المجتمع بذلك فإن أم ناصر درويش حالها حال آلاف المسنات اللواتي تآمر عليهن العمر وقسوة قلوب الأبناء و مشاغل الحياة لتخنقهن الوحدة بعد سنوات من التعب والشقاء. فقد أظهرت البيانات الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني زيادة ملحوظة في عدد المسنين في فلسطين، الذين تصل نسبتهم إلى ٤٪ من مجموع السكان، ويبلغ معدل الحياة للمسنين الذكور ٧١ سنة، و للإناث ٧٤ سنة تقريباً. وحسب توقعات البنك الدولي، ستصل نسبة كبار السن عام ٢٠١٠ إلى ٥,٥٦٪ في الضفة الغربية، و٣,٨٥٪ في قطاع غزة. وأن ٢٦٪ من المسنين يعيلون أنفسهم، و٣٧,٥٪ يعتمدون على الزوج، وأن ٥٦٪ من الذكور و٤١٪ من الإناث يعتمدون على أبنائهم في إعالتهم. كما تظهر الإحصائيات أن نسبة المسنين الذكور المتزوجين ٨٧,٥٪.

وهنالك نسبة ضئيلة من المسنين تتلقى الرعاية في المؤسسات والجمعيات، حيث يستمر المسنين في الإقامة بين أبنائهم و ذويهم، إما معهم أو في أماكن قريبة منهم، هذا إضافة لوجود نمط الأسرة البديلة وهي رعاية الجيران وأهل الخير للمسن. كما لا يتوفر أي نظام مالي يتيح للمسنين التمتع بأنظمة الضمان الاجتماعي، وبالتحديد غياب كامل لأي مخصصات للشيخوخة.

ولعل وضع الكثيرات من المسنات في بيوت المسنين والمؤسسات الخاصة بالعجزة أفضل بكثير من اؤلئك اللواتي يسكن في بيوتهن: " أصبحت اشعر إنني عالة على أولادي فطلبت منهم أن ينقلوني إلى الملجأ، على الأقل هنا من يعتني بي دون تذمر " قالت إحدى المسنات في بيت المسنين في مدينة نابلس.

و تابعت: " بالرغم من اتصال بناتي يوم ألام بي إلا أن ذلك لا يمنع أنهم يقاطعونني طوال الوقت ولا يسألون عني إلا في المناسبات ".

خولة الكرد المدير الإداري لبيت المسنين في رام الله تقول أن السيدات والبالغ عددهن ٢٧ مسنة لا يعرفن وقت الفراغ فنحن نعمل على شغل وقت المسنة وخاصة في المناسبات، ففي يوم الأم كانت لدينا وفود من الجامعات والمدارس والمؤسسات وسيدات من المجتمع المحلي، احتفلوا معهن". فيما يؤكد ريمون عادي... المدير اليومي ل " بيت افرام للمسنين وتأهيل المعاقين" ان وجود المسنات في بيت عنده تأتي برغبة منهن حيث تدفعهن الظروف الصحية لهذا الاختيار: " لا نتحدث هنا عن عقوق او إهمال من الأهل لهن و إنما لحالات مرضية حيث يكون من الصعب متابعتهن في البيت الأمر الذي يدفع المسنة اختيار تواجدها في بيت المسنين على أن تبقى في بيتها ".

في بيت المسنين

امهات جمعتهن حكايات متعددة وألم واحد

جنين - هبه عساف

اعتدت كل صباح ان اتصفح بريدي الإلكتروني فاجد فيه رسائل عدة ، هذا الصباح كان يحمل عنوانا شدني اليه " الى ولدي" كانت صديقة أرسلته لي ،كنت متحمسة أن اعرف فحواه وشاءت الصدفة ان تكون زميلتي بقربي وأنا أتصفحه .

ولدي العزيز :" في اليوم الذي تراني به عجوزا ، وانا لم اصبح كذلك بعد ، تحلى بالصبر ، وحاول ان تفهمني ،، اذا سببت بعض المتاعب خلال تناول الطعام ، او لم استطع ارتداء ثيابي بنفسي تحلى بالصبر وتذكر الساعات التي قضيتها وأنا اعلمك بها ذلك، ولا تنسى اني علمتك يوما كيف تقوم بالأشياء كيف تأكل وكيف تلبس وكيف تستحم وأنت راض وكيف تتعامل مع امور الحياة ، ، وعندما تعجز ساقاي المتعبتان عن حملي ، فاعطني يدك وساعدني كما ساعدتك عندما خطوت خطواتك الاولى واذا قلت لك يوما اني لم اعد ارغب بالحياة ، لا تحزن فانك ستفهم يوما انه بعمري لا نطمح للحياة يل لقضاء ما تبقى من الايام ، ساعدني على السير ، ساعدني على ان انهي مشواري بالحب والصبر ، فأنا ما بخلت بهما عليك يوما ، احبك يا ولدي" .

لم تكنف عيناي وصديقتي عن البكاء ،فكم كان مؤثرا ان يستذكر كل منا والداه لن نمنحهم الوقت القليل لنراجع يه ولو جزءمما منحونا اياه فقد كانوا أقوياء وكنا ضعفاء واليوم نحن الأقوى وهم الأضعف .

تحن الى منزلها

في غرفة بدت انها نظيفة وبسيطة جلست ام العبد من جلقموس على فراش وكانت تضع يدها على خدها بدت وكأنها تسرح في خيال ساقها لعهد صباها حين كانت قوية ويافعة كزهرة تفتحت ونضجت ولكنها لم تثمر زهور غيرها حتى بدأت تذبل وكانت هذه المرة وحيدة ياستثناء شريك ستون سنة من حياة زوجية ، حتى ال اليها الى الحال وزوجها لبيت المسنين حين اصبح العوز وقلة الحيلة سيمة جسد ترهل ورسمت خطوط الزمن تجاعيدا على وجهها ويديها ،سألتها ان تتحدث وكأني اوقظها من حلم صحوتها ،مدت كلتا يديها وكأنها غريق انتظرمنقذا وبكت عيناها بغزارة كدموع الاطفال ، نادتني " يما ، تعالي اقعدي حدي " وكأنها تطلب دفئا رغم ان دفىء المكان لا يحتاج .

كانت تسترسل بالحديث عن عذاباتها وكانها اعتادت الألم ، فهي وحيدة الا من زوج ضرير ضحى بكل شيء ليحافظ عليها ، وفقد ثروته التي سلبها شقيقه وابنائه الذين خيروه بين علاقته بهم والتخلي عن زوجته ، الذي رفض وقال لهم :" كيف اطلقها وانا الي ٦٠ سنة عايش معها ؟والله لو تدفعون لي مليون دينار ما بسمح تنقله منها شعرة وحدة ، فهي بالنسبة الي احسن منكم ومن كل شيء" .

ام العيد قالت انها مرضت هي وزوجها واصبحت عاجزة عن الحركة بسبب الام في قدميها وزوجها الضرير يتحرك بصعوبة ولا يجد الاثنان من يرعاهما ويهتم بهما وعندما اشتد بهما المرض توجها الى طبيا في مدينة جنين الذي بدوره صعب عليه حالهما واحضرهما الى بيت المسنين ليقيلا الرعاية والاهتمام اللازمين .

المرشدة اوسنت قالت ان الجمعية توفر للمسنين الايواء والطعام والشراب كذلك الدواء والحاجات الاساسية لكل منهم هناك اطباء مختصين يزورونهم ، كذلك تعمل الجمعية على دمج السنين بانشطة مختلفة تتناسب مع اعمارهم حتى لا يشعروا بالملل مثل اعطائهم دروس دينية والقيام ببعض الزيارات الميدانية والرحلات الترفيهية.

تخلى عنها اشقائها

في صالة كبيرة جلست بعضهن على مقاعد وامام كل منهن اداة معدنية كوسيلة مساعدة تمكنهن من التنقل والاتكاء عليها ،وليس بعيدا وفي غرفة بدت انها مدفأة جيدا ومهيئة بوسائل راحة جيدة وطبية جلست السيدة رسمية في عقدها الثامن

لم تتزوج وتوفي والدها وسلب الموت احن اشقائها عليها كما سلب العمى قدرتها البصرية ، ووجدت نفسها وحيدة باستثناء اشقاء احضروها لبيت المسنين هربا من مسؤولياتهم تجاهها تقول رسمية :كنت في منزلي وعندما مرضت لم اجد احد يرعاني او يهتم بي حتى اني طلبت من اولاد اخي ذات يوم ان يعطوني كووب ماء وكنت عطشانة جدا ، بس ما ردوا علي والله انا لا اكذب وتركوني وتركوا الباب مفتوح علي وانا بيتي على الشارع ولا بقدر على المشي لاني ما بشوف بس انا بحكي انهم هدول بنات مدارس صغار بظلو جاهلات" . تقول رسمية : لما سألت اخوي ليش جابني هون بكره الناس بيحكوا عليكم وانتو وضعكم كتير منيح بالبلد قال ليش بدهم يحكوا علينا الشرع لا يكلف مرتي وولادي انهم يخدموا اختي او امي". تعتقد رسمية انه لو تزوجت وكان لها ابناء لما تركوها وتخلوا عنها مثلما تخلى عنها أشقائها، فالبنت عندما يموت والدها تضيع بين الاخوة الذي لا ينفعون حسب قولها إلا زوجاتهم وابنائهم . الحجة حسيبا من مدينة جنين ترى العكس فهي في السبعينات من عمرها ووجدت صعوبة في ذكر اسماء ابنائها وبناتها الذين نادرا ما يسئلون عنها واخر مرة قدمت ابنتها للسؤال عنها كان هدفها هو طلب المال من امها التي رفضت اعطائها اياه لانها لاتملكه بالاساس ، اما زوجة الابن المقيمة بالاردن فارسلت تطلب منها كرت الوكالة لتحصل على الخدمات التي تقدمها وكالة غوث اللاجئين لتستفيد منها وابنائها بدلا من والدة زوجها التي ترى فيه وسيلة العيش الوحيدة التي تساعدها على تدبير امورها وامور ولدها الذي يمكث معها عاطلا عن العمل وعنده بعض المشاكل النفسية .وتقول الحاجة حسيبا : لما ارجع امشي على رجلي بدي اروح على داري وما بدي منهم اشي .

لا تنسوا زوجات الشهداء

النساء المعيلات ما بين هموم الأولاد والعمل والزواج

رام الله - نصير ابو حجلة

فقد الزوج بالشهادة أو الوفاة أو السجن الطويل، هو أفدح الزلازل التي تضرب كيان الأسرة، لكنه ليس آخرها.

فهو الذي سيلقي على كاهل الزوجة وحيدة ومنفردة، عبء المسؤولية الاقتصادية والاجتماعية والتربوية. لقد فقدت المعيل الأول والحامي والملاذ، وعليها الآن أن تتولى ضبط الأولاد وتربيتهم وتوفير حاجاتهم البدنية والنفسية، ومحاولة ترميم كل ما وقع من أضرار على كيان بيتها الذي تلفه الأحزان. ستواجه الآن مشاكل الرعاية والسكن وتعليم الأولاد والوصاية والارث والعلاقة مع أسرة الشهيد أو الفقيد أو الغائب، وذلك سوف ينعكس ضغوطاً مادية ونفسية ستحاول التأقلم معها.

النساء المعيلات

تتزايد في العالم، وفي فلسطين على وجه الخصوص، نسبة الأسر التي تعيلها الزوجة، لكنها مع الأسف الشديد هي التي تتحول الى الأكثر فقراً والأقل تعليماً في أغلب الأحيان مقارنة مع الأسر الطبيعية، حيث تضطر الزوجة الى الانشغال بتوفير حاجات اسرتها وتتجه الى العمل خارج البيت اذا ما توفرت فرص كريمة لهذا العمل.

وتظهر بعض البحوث أن الأسرة ذات المعيل الواحد تعاني من نقص في الخبرات والتوجيه السليم للأبناء في مواجهة الاضطرابات النفسية والاجتماعية التي قد تجتاحهم، كما قد تهبط نسبة نجاحهم نتيجة التوترات والمشاحنات داخل المنزل، وعجز الأم عن التحكم في إدارة الأسرة.

فالقضية ذات شقين، نفسي تربوي وآخر اقتصادي واجتماعي يتبين من خلال الضغوط المادية والمالية، والموقف السلبي للمجتمع.

الأم المعيلة يلفها الاحساس بالتوتر والقلق عندما يتطلب منها الأمر اتخاذ قرار يتعلق بشؤون الاسرة، وفي مجال معاملة الأطفال يتقاذفها الاحساس بالذنب لعدم توفر متطلبات هؤلاء الأطفال، ويتضاعف هذا الاحساس اذا ما كان بينهم أولاد معاقون او يعانون من اضطرابات نفسية أو فسيولوجية بشكل دائم، أو كانوا في مرحلة حرجة كالمراهقة أو سن الزواج، أوكان عددهم كبيراً ويحتاجون لدعم مالي وفير وهي المعيل الوحيد.

وهكذا تجد الزوجة الوحيدة نفسها أمام العمل خارج المنزل وأمام المدرسة والمراهقة والضعف الدراسي، وقد تكون وحيدة كذلك أمام الخلافات مع أهل الزوج إذا ما نشبت هذه الخلافات. وتتصرف حيال ذلك إما بالتدليل الزائد لأطفالها لتعويض حنان الزوج أو بالقسوة المفرطة تخوفاً منها كربة بيت وسلطة ضابطة أن تفلت الأمور من يدها أو لاعطاء صورة نموذجية عن قدرتها على ادارة شؤون منزلها بارادة وحزم.

الفئات العمرية للمعيلات

تحدثنا عن الهموم التي تواجهها السيدة الأرملة بصورة عامة، لكنه ثمة فروق يحددها السن والتعليم. فليس كل الزوجات والأمهات في عمر واحد.

ما من شك أن قطاعاً كبيراً منهن في المجتمع الفلسطيني من صغيرات السن بحكم الزواج المبكر وبحكم الاستشهاد الذي يستهدف الشباب، وبالتالي تتراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين، كما أن اللواتي زادت أعمارهن عن الثلاثين يعتبرن صغيرات نسبياً. ومن تجاوزن الأربعين تختلف طبيعة المشكلات المتعلقة بالمسؤولية والعمل وعدد الأولاد لديهن.

كما أن الحالة التعليمية تتدرج من التعليم الابتدائي والمتوسط ثم الثانوي والجامعي. وغالباً ما يكون متوسط الحال التعليمية لزوجات الشهداء متدنيا نسبياً، وهو أمر يفترض أن يبقين ربات بيوت، وبحاجة الى العون والدعم والمساعدة تماماً كا هو الحال بالنسبة لكبيرات السن، وبالنسبة للعمل قد تجد نسبة ضئيلة طريقها الى العمل في القطاع الخاص أو الرسمي، لكن من يجدن باب العمل مفتوحاً لا يزدن في نهاية المطاف عن ١٠-١٥٪، نظراً لتدني تعليمهن، وقلة الفرص، وعامل ثالث وهو وجود الأولاد. فقلة نادرة منهن تكون أرملة بلا أولاد. بينما الغالبية العظمى تتراوح اسرتها ما بين ٣ أو ٦ أولاد، وهنا يتدخل هم آخر، وهو جسامة القلق والاحساس بالمسؤولية والخوف حتى من تكرار محنة الفقد، والايغال في التفكير الزائد عن الحد الى حد الرهاب والوساوس، لا سيما لمن شاهدت جريمة قتل زوجها واستشهاده غارقاً في دمائه. وربما يكون قد وقع ذلك في أيام الزواج الأولى، وما أكثر ما توارد الينا من قصص مأساوية بهذه الوحشية.

البيئة الاجتماعية تصد الزواج الثاني

تعرضنا لموضوع السن، لأنه يقودنا لموضوع الزواج ثانية، ولا ريب أنه سؤال تطرحه كل من فقدت زوجها بينها وبين نفسها ولديها اجابة عليه.

هل من حقها الزواج؟ وماذا يلبي هذا الزواج في وضعها ووضع اسرتها وأولادها؟

هل يوفر دعماً مادياً ونفسياً لها ويعينها على تربية أولادها، لا سيما اذا كانت صغيرة السن؟

لا جدل في أن الرغبة متوفرة لدى صغيرات السن ذوات الأسر الصغيرة - بطفل او طفلين - في الزواج، وهو حق شرعي لهن، لكن البيئة الاجتماعية لا تكون ايجابية في الغالب، كون الزواج غير مقبول من الأولاد اولاً، في أن يحل رجل غريب مكان والدهم، كما لا يحظى هذا الزواج برضى أهل الشهيد الذين يتوقعون الوفاء لذكرى ولدهم.

وثمة عامل مختلف يبعد هذا الزواج، وهو أن تكون التجربة من بدايتها غير موفقة مع أول رجل، أو يكون العكس، حيث تكرس الزوجة حياتها لأطفالها ولذكرى زوجها الراحل.

والأكثر أهمية في هذا الشأن هو القانون الذي يتعلق بالحضانة، فقد تسقط حضانتها لأطفالها اذا تزوجت من غريب.

واذا ما اقدم أهل الشهيد على رفع قضية للاحتفاظ بالأبناء، قد يسقط حق الأم في الحضانة ويتبع ذلك الغاء امتيازات مادية أخرى، كالراتب أو التقاعد أو المسكن، وهكذا تكون زوجة الشهيد أكبر المتضررين مادياً ومعنوياً باستشهاد زوجها، وربما حتى مدى طويل، وأكثر المستفيدين بالمقابل هم أهل الشهيد.

وربما يتحول الأمر الى نزاع على الميراث او على غيره، وكلها قضايا ليست في طاقة الأرملة اذا ما اقدمت على الزواج، وبعد هذا وذاك - وان كنت احبذ لها ممارسة حقها - هل سيكون الزواج الثاني مصحوباً بالنجاح؟

ليس هذا نهاية النفق المظلم، فقد تكون نتائج هذا الحرمان من الدفء الأسري والسلبية الاجتماعية تحول الأم الأبناء الى الكد والجد والعمل والاجتهاد لتحقيق طموحات كبيرة، وتحقق الأسرة النجاح والتفوق. وكم من طبيب أو مهندس أو عالم قد خرج من بيوت كهذه، وهو الأمر الذي يلفت نظر المصلحين ويضع الأمل أمامهم بتحويل الخوف والحرمان والانطواء الى دوافع ايجابية تشحذ الهمم وتحولها الى طاقة عارمة تفتح أبواب ابتكار الحلول المناسبة.

إلى عطاف يوسف وهمومها غير العادية:

رجاءً لا تعتذري..

عبد الباسط خلف

تسرع إلى الشاشة الصغيرة، تتابع ما تيسر لك من برنامج «زيارة خاصة»، فالضيوف أفسدوا خطتك، والإعادة للبرنامج لن تتكرر، ولن تتمكن إلا من مشاهدة الدقائق الأخيرة، تلجأ إلى شبكة الإنترنت، وتستمع بإسراف لتسجيل الحلقة، تكرر ذلك.

تقرأ وتسمع صوت الحزن الموسيقي المصاحب لنصوص المناضلة؟ الصحافية عطاف يوسف، تتفاعل والصور الملونة والمضطهدة، في الهزيع الأخير من البرنامج، وتتخيل ما فاتك.

تكتب إليها رداً سريعاً: تفتح زيارتهم الخاصة لكِ جرحاً عموميا لنا، ولم نستطع إخفاء حسرتنا ووجعنا، سنزور الجانية حيث قريتك، وسنستمع إلى صدى بكاء رجالها، وسنفتش عن آثار ملابس فتياتها المتشحة بالسواد، يوم بكين الرئيس جمال عبد الناصر.

تقرأ من «الجزيرة نت» ملخصاً لما قدمه الإعلامي سامي كليب: «تستضيف الحلقة عطاف يوسف التي قبض عليها الضابط الإسرائيلي بالجرم المشهود، فماذا سيكون مصيرها؟ وكيف قيل لها إن الرجل الذي ستتزوجه سيموت قريبا بالسرطان ولكنها تزوجته. وكيف عاشت ضياع الوطن فثارت لتحريره، أسرت وكان إطلاق سراحها مرهونا بنفيها من الوطن، وخارج الوطن وجدت أن الحياة خلف القضبان أسهل منها في الخارج».

تستمع إلى الحزن الذي يحتل صوتها، وترى مساحات التحدي التي تسكنها. تقرر أن تكتب، فلعل الكلمات ستخفف من وجع الذاكرة الجماعية أو الخاصة الذي يطاردنا ويسعى للإيقاع بنا.

تنقلنا إلى الثالث والعشرين من أيار ١٩٧٩، يوم سرقت القضبان حياتها الحرة، من غير أن تتمكن من مصادرة قوتها وأحلامها وإرادتها وإنسانيتها.

تكتب، بعد أن قرأت همومها العادية، التي تقول فيها: «كل التعليقات التي سمعتها من البرنامج، سواء من طاقم الجزيرة أو من الأشخاص الذين حضروا اللقاء كانت جميلة ومؤثرة، لدرجة أنني أحياناً كنت اشعر بالذنب لأنني تسببت بالألم لبعضهم، وجعلت البعض الآخر يذرف الدموع، لكنها فرصة بالنسبة لي لأخرج بعض ما اكتنزته لسنوات طويلة وكان يرهقني لثقله، أما الآن فأنني شعرت بأنني تخففت قليلاً من هذا الحمل، لست مسرورة أنني ألقيته على الآخرين، لكنني مرتاحة قليلا، وآمل للآخرين أن يرتاحوا، وأعتذر لكل من سببت له الألم ولو قليلاً، أما ما تبقى لدي فلن أبوح به عبر التلفاز أو الجريدة، وإنما سيكون من خلال رواية أحضر لكتابتها، فهناك الكثير الذي لم يتسع المجال لذكره خلال برنامج استمر ساعة واحدة من الزمن».

سيدتي:

أرجو ألاّ تعتذري، فألمك العظيم تمكن من ملامسة جرحنا المفتوح.

أرجو ألاّ تعتذري، فألمك لنا ومنا.

أوجاعك هي ذاتها التي لم تتوقف هنا وهناك، وتزداد كثافة.

أرجوك أن تحملينا إلى ضفة البكاء، فلربما نستعيد جزءا من إحساسنا الذي أصابته الاعتيادية والتكرار وأفقدته الحياة.

زميلتي: ما الذي صنعته، كي تعتذري، فهل استعادة الألم الذي أطلقنا عليه النار، يتطاير بالتقادم؟

ما الذي فعله ارتباطك بوطنك، وعشقك المجنون بالحرية؟

ما الذي اقترفته قوتك ونضالك وتقدميتك من آثام، تستوجب الاعتذار؟

سيدتي:

العودة إلى الجدران الرطبة، والزنازين، والجلاد القادم من بولندا الباردة، ستجدد لنا نار النقمة التي تطلقها الضحية صوب الذي سعى لسحقها وتحطيم ما تمتلكه من إرادة، وعشق وترف بجنون الرحيل نحو التحليق في أفق بلا مشوهات واسمنت وقرميد أحمر وأسلاك وطرق ملتفة وقادمين جدد.

عطاف:

جرحك جرحنا، قوتك قوتنا، عذابك عذابنا.

لا تسألي عن تأشيرات الدخول الأنيقة..

لا تقطعي رحلة البحث عن معالم استراحة شريك الراحل الأخيرة، فالرحلة لم تنته بعد، وغداً سيجف العشب ويذوب الثلج وتموت الشمس، وتتضح المعالم الخالدة، سنعترف ببكائنا العلني، فليس ذلك عيباً.

سنتحدث مع الأصدقاء والزملاء، وسيعترفون بدموعهم الحارة بسرعة البرق.

سيتحدث صديقي عن بكائه المشترك وزوجته وولده..

سنبحث عن روايتك التي لم تصل خط النهاية..

سنعلق على اعتذارك أكثر من مرة.

سنتذكر التفاصيل الصغيرة، وسنوثق الزيارة العامة - الخاصة.

سنكرر تأكيدنا بزيارة الجانية حيث مسرح عذاباتك، ونهاراتك الطويلة، وأفقك الذي تشوهه المستعمرات.

سنبحث عن زهر اللوز والحنون وعطر الأرض المجاني.

سنطلب منك أن تجيبي عن أسئلتنا التي ستعيد تدوير جراحاتنا المشتركة.

سنستخدم كقراء حق نقض قرارك بالاعتذار.

سنغني للحياة.

سنردد: نموت واقفين ولن نركع.

ولن نسرع يا عطاف بتقبيل يد الجلاد.

سيدتي: نرجوك أن تبوحي لنا ولغيرنا عن جراحاتك، فهي تستنسخ نفسها في أعماق، وتكرر ذاتها في أجساد رفيقاتك وأخواتنا اللواتي تحجب عنهن الشمس.

نعدك بالعودة إلى دموعنا الشحيحة.

نعدك بأن نصادر ألم الحاجز وأن نرحل إلى ما وراء القضبان العبثية القاسية.

سلام لك، سلام لحريتك ولحزنك المشروع، الذي يستحق إعادة انتشار تلقائية.

سلام لعايدة وتيريز ولرفيقات قيدك المستدام.

سلام لأحلامك ولزيتونك الأخضر المسلوب.

سلام لهمومك العظيمة والطارئة.

سلام لحبرك وصوتك.

ورجاءً لا تعتذري.

في دراسة حول واقع المؤسسات النسوية في قطاع غزة

*** المشكلات المادية والاجتماعية والسياسية تحول دون تنفيذ العديد من البرامج الخدماتية**
*** برامج تشغيل النساء ما زالت بدائية وتقليدية وبدون تطوير**
*** الدعوة الى تشكيل جهة لمتابعة عمل المؤسسات وتفعيل التنسيق الميداني فيما بينها**

غزة - مكتب المجد للصحافة

أظهرت نتائج دراسة ميدانية ان الصعوبات المادية والاجتماعية والسياسية التي تواجه المؤسسات النسوية في قطاع غزة تحول دون تنفيذ العديد من برامجها الخدماتية.

وذكرت الدراسة التي أعدتها الباحثة سمية السوسي من مركز التخطيط الفلسطيني ان العديد من برامج المؤسسات النسوية متكررة بصورة تقليدية لضعف التنسيق الميداني مع مؤسسات المجتمع المدني مما يشتت الموارد المالية.

ودعت الدراسة الى تشكيل جهة رسمية لمتابعة عمل المؤسسات النسوية في غزة والإشراف على البرامج التي تقدمها مؤكدة على ضرورة تفعيل التنسيق بين المؤسسات الأهلية والحكومية بهدف إنجازه بصورة أفضل وضمان استفادة أكبر عدد من النساء منها.

وحثت الباحثة السوسي المؤسسات النسوية على وضع وإعداد برامج جديدة تتناسب مع المرحلة الحالية وخصوصيتها من أجل وضع خطط منهجية على القريب والبعيد لتلبية احتياجات النساء ودعم وتطوير أوضاع المرأة الفلسطينية.

وأجرت الباحثة دراستها الميدانية على ١٥ مؤسسة نسوية معنية بقضايا المرأة في أنحاء مختلفة من قطاع غزة علما بأن عدد المؤسسات النسوية الغزية بلغ نحو ٥٠ مؤسسة وفق إحصاءات وزارة الداخلية منها (٣٧) مؤسسة خاصة بالمرأة والطفل توزعت برامج (١٣) مؤسسة أخرى ما بين القضايا القانونية والاجتماعية للمرأة.

برامج ومشروعات نسوية

وعلى صعيد نتائج الدراسة الميدانية المتعلقة بأهم المشروعات والبرامج الثابتة للمؤسسات النسوية تبين ان هذه البرامج تتوزع على أكثر من جانب من جوانب حياة المرأة. وتتلخص هذه البرامج الثابتة فيما يتعلق بالتوعية والتثقيف والجانب التعليمي وفي مجال الدورات التدريبية وورش العمل والمشاريع الخدماتية الاجتماعية والتطويرية للمرأة وبرامج المساندة النفسية للمرأة وإنشاء رياض أطفال ودور حضانة.

والى جانب هذه البرامج نفذت المؤسسات النسوية برامج ذات علاقة بالواقع السياسي مثل تعزيز مشاركة المرأة في العمل السياسي والانتفاضة وتعزيز مشاركتها الشعبية إضافة الى برامج الأبحاث والتوثيق حول قضايا النوع الاجتماعي.

ومن خلال مقارنة البرامج الحالية للمؤسسات النسوية الغزية ببرامج قدمت في العام ١٩٩٨ ومن خلال مقارنة نتائج الدراسة الحالية الخاصة بالبرامج المقدمة ومن دراسة أعدها نفس المركز العام ١٩٩٨ تبين أن عددا من المؤسسات النسوية الغزية ما زالت تقدم نفس البرامج بدون تطوير فيما اختلف مضمون الدورات وورش العمل المقدمة باختلاف الواقع السياسي والاجتماعي خاصة قضية الانتخابات ومشاركة المرأة فيها. غير أن بعض المؤسسات طورت برامجها مثل طاقم شؤون المرأة الذي نفذ برامج مستقلة لتأهيل النساء الفائزات في انتخابات المجالس المحلية ودعم النساء في مراكز صنع القرار ودعم القوانين الخاصة بالمرأة.

انسحاب بدون برامج كافية

وفيما يتعلق ببرامج المؤسسات النسوية لمرحلة ما بعد الانسحاب الاسرائيلي أحادي الجانب من قطاع غزة ذكرت دراسة الباحثة السوسي ان ثماني مؤسسات نسوية فقط أعدت برامج خاصة لهذه المرحلة.

وتركزت أهم البرامج في التثقيف والتوعية وإقامة مشاريع خاصة بالنساء في المناطق التي تم الانسحاب منها وإصدار المطبوعات وتقديم الدعم النفسي للنساء في المناطق المخلاة مثل المواصي وجحر الديك والمغراقة.

ولكن هذه البرامج لم تشتمل توضيحا للمتغيرات السياسية لمرحلة ما بعد الانسحاب وإمكانية استفادة النساء وتطوير قدراتهن في هذه المرحلة.

وأوضحت الدراسة ان تأثيرات الانسحاب الاسرائيلي شكلت فقط عاملا ثانويا على صعيد التأثير على عمل المؤسسات النسوية مشيرة الى ان المؤسسات التابعة لأطر تنظيمية هي التي أعدت ونفذت برامج فعلية في مرحلة ما بعد الانسحاب مثل اتحاد لجان العمل النسائي واتحاد لجان المرأة الفسطينية.

عقبات بلا حدود...!

وما زالت العقبات التي تواجه المؤسسات النسوية متشابهة مع تلك التي كانت تواجهها قبل ثماني سنوات من صعوبات مالية واجتماعية واقتصادية وسياسية.

وذكرت الدراسة ان المؤسسات تنفق مبالغ كبيرة على عقد الندوات وورش العمل دون أن تكون لتوصياتها فاعلية تسهم في تغيير الواقع الذي تعيشه المرأة الفلسطينية إضافة الى عدم مشاركة المرأة فيها بحضور قوي حيث يقتصر المشاركون على أسماء مكررة تتواجد في معظم الفعاليات التي فقدت جزءاً هاما من مصداقيتها والثقة بها لهذا التكرار.

وفيما يتعلق بفصل الضفة عن غزة تبين الدراسة ان بعض المؤسسات استقلت في غزة عن المؤسسة الأم في الضفة خلال السنوات الثماني الماضية وشرعت بتنفيذ برامجها ومشاريعها الخاصة في حين ما زالت أخرى تعتمد في برامجها وقراراتها على الضفة مما يتسبب بتأخير تنفيذ بعض البرامج.

وبالنسبة لصعوبة الوضع الاقتصادي للنساء ما زالت برامج التشغيل والبرامج الهادفة الى مساعدة المرأة في توفير مصدر دخل إضافي للأسرة برامج بدائية تقتصر على تعلم بعض الحرف التقليدية وتقديم بعض القروض لمساعدتهن في إنشاء مشروعات خاصة بهن.

وأظهرت النتائج ان هذه البرامج لا تصل إلا لعدد محدود من النساء المحتاجات لها لعدم معرفتهن بها لضعف الجانب الإعلامي لدى المؤسسات النسوية.

وثمة تغييرات ملموسة تحققت على صعيد واقع المرأة الاجتماعي من خلال مشاركتها في انتخابات المجالس المحلية التي أصبحت بحكم القانون تضم امرأتين في كل مجلس محلي على الأقل.

ضرورة تطوير التنسيق

وعلى صعيد التنسيق بين المؤسسات النسوية ومؤسسات المجتمع المدني تبين وجود نوع من التنسيق بينها رغم وجود تكرار في بعض البرامج لدى عدد من المؤسسات مما يشتت الموارد المالية.

وأكدت النتائج ان برامج الدعم النفسي المقدمة من تلك المؤسسات بحاجة للمزيد من التطوير لتشمل عددا أكبر من النساء لضمان مساعدتهن في التغلب على الآثار النفسية الناتجة عن سياسات الاحتلال العدوانية. وأشارت الى أن من أهم البرامج المشتركة التي يتم فيها التنسيق البرامج التدريبية في مجال حقوق المرأة والقانون والانتخابات ومشاريع التشغيل المؤقتة وبرامج الدعم النفسي.

ودعت الباحثة السوسي والجهات المعنية الى اجراء مسح ميداني واسع لرصد الواقع الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي للمرأة في كل منطقة على حدة للخروج بصورة مفصلة عن أوضاعها واحتياجاتها ووضع خطط يمكنها تلبية احتياجات النساء في كل المناطق والمجالات.

التمويل الذاتي وانعدام التسويق وعدم التخصص:

مخاطر حقيقية تهدد وجود الجمعيات النسوية الريفية

خاص - صوت النساء

كانت جمعية سيدات طمون التعاونية في مثل هذا الوقت من كل عام تشهد حركة عمل وإقبال نسوي منقطع النظير في مشهد يدلل على نشاط هذه الجمعية النسوية. غير أن هذا النشاط تحول إلى ركود شبه تام كما تقول سعيدة بشارات رئيسة الجمعية التعاونية والتي طالما اشتهرت بإنتاجها النسوي الريفي المميز.

وتقول سعيدة ان هذا العام هو الاسوأ في تاريخ الجمعية التي تعمل منذ سنوات عديدة في مجال تنمية المراة وتمكينها.

تمويل ذاتي ومحدود

ولكون جمعية سيدات طمون التعاونية تعتمد على التمويل الذاتي شانها بذلك شان غالبية الجمعيات النسوية العاملة في المنطقة فقد كان نشاطها مرتبطا بالوضع الاقتصادي العام مبينة «نتيجة للوضع الاقتصادي المتردي للمواطنين فقد انعكس هذا سلبا على جمعيتنا».

وقالت انه وعلى الرغم من الإمكانيات الذاتية والمحدودة للنساء إلا انه كان هناك إنتاج متعدد للمجموعات النسوية الإنتاجية في المركز حيث أن جمعيتنا اشتهرت بالعديد من المنتجات التي كان لها بعض الفرص الممتازة في منافسة منتجات أخرى كالبندورة واللبنة بأنواعها والغزل اليدوي.

ونوهت إلى أن المجموعات الإنتاجية تتمتع بمهارة عالية في إنتاج المنتجات والتي غالبا ما تكون يدوية الصنع وطبيعية وتعتمد على توارث الخبرات في إنتاجها وصنعها.

وكانت منتجات هذه الجمعية تحديدا قد حازت على تقدير العديد من الجمعيات والمؤسسات التنموية مما دفع بهذه الجمعيات إلى تبني مسؤولية البحث عن منافذ تسويقية خارجية إلى جانب تسويق محلي محدود وعرض هذه المنتجات في المعارض المحلية.

وأشادت بشارات بهذه المؤسسات التي مدت يدها للجمعية غير أنها ترى انه قد لا يكون لهذه المساعدات أية اهمية في الوقت الحاضر إن لم يكن هناك نتائج ايجابية فعلية حالية فالمجموعات الإنتاجية راكدة والنساء باتت تتراجع عن القيام بعملها هذا.

عقبات تسويقية

كما يشكل انعدام المنافذ التسويقية عقبة رئيسة أخرى أمام إنتاج الجمعيات النسوية فلا منافذ تسويقية تذكر باستثناء بعض المحاولات الذاتية أيضا التي تقوم بها المجموعات هنا وهناك.

وأوضحت أن الكثير من النساء باتت تمل من الانخراط في هذه المجموعات الإنتاجية كونها تعتمد على التمويل الذاتي المرتبط بالوضع الاقتصادي فالكثير منهن آثرت الانسحاب وعدم الانخراط في الإنتاج نتيجة الوضع الاقتصادي السيء لعائلاتهن إلى جانب أن هذا الإنتاج لم يعد مجديا في ظل الارتفاع القياسي في أسعار المواد الأولية اللازمة للإنتاج.

وقالت ان آلية التمويل في هذه المنتجات تكمن في أن تتقاسم نساء المجموعة التكاليف اللازمة للإنتاج وهو الأمر الذي يشكل العقبة الرئيسية فالعضوة غير قادرة دائما على توفير المبلغ اللازم إلى جانب أنها تكون بأمس الحاجة له للإنفاق على عائلتها.

...والتراخيص أيضا

وتلخص باسمة جمعة رئيسة جمعية نساء وادي الفارعة الخيرية المشاكل والصعوبات التي تواجهها الجمعيات النسوية عموما والتي تتحدد بالتمويل الذاتي وانعدام التسويق والعمل دون تراخيص رسمية.

وتقول جمعة ان جمعيتها تحاول منذ ست سنوات الحصول على الترخيص الرسمي غير أنها في كل مرة تقف أمام عائق مختلف على الرغم من أنها الوحيدة في القرية وتعمل وتنتج اشياء نوعية.

وتقول ان انعدام الترخيص يضيع على الجمعية فرصا كثيرة للحصول على دعم أو مشاريع ممولة من العديد من الجهات الداعمه والتي ترى في الترخيص «الواجهة الرسمية» للتعامل مع أية جمعية.

وتابعت «غير أننا كنا نتجاوز هذه الصعوبة أحيانا لنصطدم بصعوبات التسويق للمنتجات المصنعة في أحيان كثيرة ».

وكما هو الحال في الجمعيات النسوية الريفية الأخرى يتواجد في جمعية نساء وادي الفارعة مجموعات نسوية متخصصة وماهرة في أصناف إنتاجية متعددة تعتمد في معظمها على العمل اليدوي والعودة للتراث أن كان أشغالا يدوية وعلى العمل الطبيعي الخالي من المواد الكيماوية الحافظة في التصنيع الغذائي.

وتشير إلى أن المجموعات النسائية الإنتاجية تلجأ دائما إلى عمل المنتج التقليدي إلى جانب انه يؤخذ بعين الاعتبار أن هذا المنتج لا ينتج في البيوت إلى حد ما .

وقالت نحاول دائما اللجوء إلى «ابتكارات إنتاجية» عديدة فمثلا لجأنا قبل فترة إلى تخليل الباذنجان المصبوغ بالشمندر وليس الأصباغ الكيماوية وهو الصنف الذي حاز على إعجاب العديد من الجهات كما تقول.

وأكدت ان هناك تراجعا كبيرا في عمل هذه الجمعية خلال الفترة الحالية خاصة فيما يتعلق في الانتاج «فالعاملات محبطات» من قلة التسويق كما تقول.

مشاكل وحلول

من ناحيته أشار جمال مبسلط منسق المشاريع في المركز الفلسطيني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى أن المشكلة الأساسية التي تواجه المراكز النسوية سيما الريفية منها تكمن في التسويق إلى جانب عدم التخصص في الإنتاج وتكرار الأصناف المنتجة في جميع هذه المراكز والتجمعات النسوية. وقال ان مشكلة التسويق تبقى قائمة غير أن هناك حلولا عملية من شأنها التغلب عليها.

وقال إن تشابه الصنف المنتج من قبل المراكز النسوية يؤدي إلى ازدحام هذه المنتجات المتشابهة في السوق مما يقلل من فرص المنافسة فيما بينها موضحا أن هناك آليات عديدة يمكن اللجوء إليها للتغلب على ذلك من خلال جودة التصنيع والتغليف للمنتج وبان يكون الغلاف يحوي على معلومات الثمن و تاريخ الإنتاج والانتهاء ومكونات الإنتاج أي من خلال إتقان تلك المجموعات النسوية لفن التسويق والترويج.

ونوه إلى أن المركز الفلسطيني سيقوم قريبا بإخضاع النساء في منطقة طوباس إلى دورة متخصصة في فنون التغليف والتسويق بغية جعل هؤلاء النساء وجميعهن منخرطات في مجموعات إنتاجية متعددة تتبع جمعيات ومراكز نسوية قادرات على المنافسة بقوة بمنتجاتهن.

كما نوه مبسلط إلى أن التخصص في الإنتاج من شانه التغلب على مشكلة التسويق وهنا يجب على النساء الاستفادة من فائض الإنتاج للحصول على المواد الأولية بأقل التكاليف وهذا بحد ذاته يمثل حلا عمليا لتكرار الصنف. ففي طمون مثلا يمكن للنساء التخصص في إنتاج البندورة حيث تشتهر البلدة بإنتاجها أما في طوباس المدينة فالتخصص يجب أن يكون في المنتجات التي يدخل القمح والقش في صنعها نظرا لما تشتهر به طوباس من زراعة القمح فيما يجب أن يكون التخصص في عقابا بالزيت والزيتون وهكذا.

في تقرير إحصائي لملتقى المرأة العربي:

القصور في القوانين والتشريعات له تأثير مباشر على صحة المرأة

غزة- فايز أبوعون

لم تغفل المؤسسات الصحية الفلسطينية، الأهلية منها، والوطنية، والحركات النسوية المحلية والعالمية، عن دورها في المساهمة الفاعلة في تحقيق الرؤية الشمولية لصحة المرأة، فقد بدأ الاهتمام بالجانب الحقوقي للمرأة الفلسطينية في مجال الصحة منذ أوائل التسعينيات بمساهمة المؤسسات الصحية الأهلية التي تمكنت من تبني هذه الرؤية الشمولية في مؤتمر السكان في القاهرة العام ١٩٩٤، ومؤتمر بكين العام ١٩٩٥.

وبناء على ما تمخض عن هذين المؤتمرين، أكدت تلك المؤسسات أن حياة المرأة وتمتعها بحقوقها الصحية هي في صميم حقوق المواطن والعدالة الاجتماعية، فعكفت على وضع صحة المرأة الفلسطينية، وتحسين شروطها على سلم أولوياته، حيث أقرت بأن الوقاية الصحية، وسلامة ظروف العمل، بما في ذلك حماية وظيفة الإنجاب، هي من أولويات تلك الحقوق. وأضاف ملتقى المرأة العربية في تقرير صدر مؤخراً وحصلت «صوت النساء» على نسخة منه، أنه يتم العمل الآن على توفير الحماية الخاصة للمرأة أثناء الحمل في الأعمال التي يثبت أنها مؤذية لها، وتوفير العلاوات الاجتماعية والخدمات الداعمة كالحضانات ورياض الأطفال، وأيضاً رفع سن الزواج إلى سن ١٨ سنة لدى النساء.

توفير الخدمات الصحية

وأشار التقرير إلى ضرورة توفير الخدمات الصحية النوعية بشكل متساو للمرأة الفلسطينية في الريف والمدينة والمخيم، مع ملاءمة الخدمات الصحيةً المقدمة مع رفاه وصحة المرأة وليس فقط مع مؤشرات صحة المرأة، وإيجاد نظام مراقبة ومتابعة لضمان تطبيق السياسات والبروتوكولات الصحية الوطنية، مع التركيز على خدمات التوعية والإرشاد للجنسين، المرأة والرجل وخاصة في مرحلة المراهقة.

وشدد ملتقى المرأة العربية على أهمية تعزيز دور الإعلام في التوعية والإرشاد واعتباره إحدى الوسائل الهامة في البرامج الموجهة بهدف تغيير السلوك الاجتماعي المبني على التمييز واعتبار أحد الجنسين أدنى أو أعلى من الآخر، أو السلوك الاجتماعي الذي يعزز من الأدوار النمطية لكل من الرجل والمرأة، والتركيز على الدراسات والأبحاث حول العديد من المؤشرات التي تؤثر في صحة ورفاه المرأة مثل الإجهاض والعقم، الصحة النفسية، سن الأمان والمراهقة. ولفت إلى ضرورة التنسيق بين كافة مقدمي الخدمات الصحية للمرأة من أجل تعزيز وتطوير الخدمات وترشيد الإنفاق، وتدريب مقدمي الخدمات الصحية للمرأة على الحقوق الصحية للمرأة، بما فيها الصحة النفسية، وعدم اقتصارها على الصحة الجسمية أو الجسدية فحسب.

واعتبر الملتقى أن الحقوق والمشكلات الصحية تمثل احدى المشكلات الأساسية للمرأة الفلسطينية، مشيراً إلى أن أبرز التحديات التي تواجهها على المستوى الصحي في تحقيق المساواة بين الجنسين في الحصول على خدمات الرعاية الصحية، تتمثل في معاناة المرأة من وجود تمييز واضح لصالح الذكر في تلقي الخدمات بناءً على المؤشرات الصحية التي وردت في تقرير المرأة والرجل.

وقال ان هذا الأمر يرفع سقف المطالب الفلسطينية بضرورة تبني رؤية تنظر إلى صحة المرأة بمفهومها الشمولي وعدم حصرها بالصحة الإنجابية

لها، بل توفير البيئة الاجتماعية الملائمة والاهتمام بصحتها في المراحل العمرية المختلفة منذ الطفولة إلى الشيخوخة، مع ضمان تقديم خدمات فحص التقصي للثدي (الكشف المبكر) عن سرطان الثدي وعنق الرحم وهشاشة العظام، وأيضاً ضمان أعلى مستويات الصحة والتغذية للفتيات، وضمان حق المرأة في الحصول على خدمات التقصي للأمراض المزمنة مثل السكري والضغط، مؤكداً على ذلك كله متزامناً مع توعية المرأة لتشمل القضايا الاجتماعية والصحية والإنجابية.

ازدواجية المشاكل

وحول صحة المرأة والعوامل المؤثرة عليها، أوضح الملتقى أنه في ظل خصوصية المجتمع الفلسطيني في المرحلة الراهنة، كونه يمر بفترة تحول على أكثر من صعيد، كالتحول الاجتماعي من مجتمع تقليدي إلى مجتمع معاصر، وما يصاحب ذلك من ازدواجية في المشاكل الصحية السائدة، والتحول السياسي الذي تمثل بإقامة السلطة الفلسطينية وتسلمها لمسؤولية الخدمات الصحية، توجد مجموعة من العوامل المباشرة والعوامل غير المباشرة التي تؤثر في صحة المرأة.

ولفت إلى أن العوامل المباشرة المؤثرة في صحة المرأة، تتمثل في غياب أو ضعف السياسات الرامية إلى تحسين صحة المرأة، والتغذية غير الكافية للمرأة في مراحلها العمرية المختلفة، فهي أكثر عرضة للإصابة بأمراض سوء التغذية وفقر الدم.

وأضاف كما أن عامل الزواج المبكر، والحمل المبكر، والحمل المتكرر وتقارب الأحمال، حيث بلغ متوسط العمر عند الزواج الأول ١٨,٧ سنة للإناث، ٢٣,٧ سنة للذكور، وأن ٤٠٪ من الإناث اللواتي عقدن قرانهن في العام ٢٠٠٥ هن دون سن الثامنة عشرة، مؤكداً على أن هناك جانبا أخر له تأثير مباشر على صحة المرأة من حيث القصور في القوانين والتشريعات كتلك المتعلقة بسن الزواج، وتعدد الزوجات والطلاق.

وتابع كما أن النقص في الخدمات الصحية المقدمة للمرأة في مرحلة المراهقة ومرحلة الأمان، والضغوط النفسية والاجتماعية التي تتعرض لها المرأة نتيجة للمفاهيم والسلوكيات الاجتماعية التي تعزز من دونية المرأة في المجتمع وعلى رأسها تلك المتعلقة بالحمل والإنجاب، تؤثر بشكل مباشر على صحتها.

أما من حيث العوامل المباشرة التي تؤثر على صحة المرأة، فذكر التقرير أن الموروث الاجتماعي والثقافي وانعكاسه على التنشئة الاجتماعية والتربية على أساس تفوق الذكر على الأنثى، يؤثر على نوعية الخدمات وتحديد الأولويات في الصحة.

ولفت الملتقى إلى أن التمييز في الخدمات الصحية المقدمة وعدم ملاءمة أنظمة الرعاية الصحية، وغياب الدراسات والأبحاث بهدف تطوير الوضع الصحي، وعدم وجود دراسات وأبحاث حول العديد من المؤشرات التي تعكس الوضع الصحي للمرأة مثل الصحة النفسية، الإجهاض، العقم، والفحوصات الوقائية الخاصة بالثدي وعنق الرحم، بالإضافة إلى افتقار المناهج التعليمية للمواضيع الصحية الخاصة بالتربية الجنسية، المراهقة، حقوق المرأة والطفل، أيضا ضعف دور الإعلام المرئي والمسموع الموجه بهدف تغيير السلوك، يعتبر من العوامل غير المباشرة والتي تؤثر على صحة المرأة.

وعن الخدمات الصحية المقدمة للمرأة، قال التقرير ان النظام الصحي يعتبر مركباً من مختلف الأطراف المقدمة للخدمات على كلا المستويين الرعاية الأولية والثانوية، وتقدم هذه الخدمات أربعة قطاعات رئيسة، هي خدمات وزارة الصحة، ووكالة الغوث الدولية، والخدمات الأهلية، وخدمات القطاع الخاص، مبينة أن السلطة الفلسطينية أولت اهتماما خاصا للقطاع الصحي منذ تسلم مهامها في الضفة الغربية وقطاع غزة، من خلال اعتباره ثاني أهم قطاع بعد التعليم في خطتها التنموية.

خدمات الصحة الأولية

أما وكالة الغوث الدولية فتقدم خدمات الصحة الأولية للاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتقدم مجموعة من الخدمات الوقائية والعلاجية المتكاملة، إلى ما نسبته ٣٢٪ من الشعب الفلسطيني، الأمر الذي انعكس ذلك صحياً على الشعب الفلسطيني بشكل عام، والمرأة بشكل خاص، في حين تعمل المنظمات الأهلية على تقديم خدمات الرعاية الصحية في فلسطين.

وفيما يتعلق بالقطاع الخاص فأوضح الملتقى أنها قدمت عدداً من الخدمات العلاجية على مستوى الرعاية الصحية الثانوية إلى جانب الفحوصات التشخيصية، ويتكون من ممارسين يعملون على أساس فردي ومستشفيات خاصة وشركات طبية خاصة، يشرف على ٣٠,٧ ٪ من المستشفيات العامة، وعلى ١٣,٢ ٪ من أسرة الولادة.

وقدم الملتقى بعض المؤشرات الصحية وفقا للمراحل العمرية المختلفة للمرأة، موضحاً الأطفال دون سن الثامنة عشرة، يشكلون ما نسبته ٥٣٪ من التعداد السكاني، من بينهم ٤٩,١٪ من الإناث، و٥٠,٩٪ من الذكور.

وأشار إلى أن ظاهرة التمييز المبني على الجنس، تبدأ قبل ولادة الطفل الأنثى وحين ولادتها، حيث تفرح العائلة لولادة الذكر وتعطي مكانة خاصة للأم التي تنجب الذكر على حساب الأنثى، ويتعزز هذا التمييز في التنشئة الاجتماعية وتحديد دور الطفلة على أنها الزوجة والأم في المستقبل.

وأمام جميع المتغيرات المتلاحقة، السابق ذكرها، والتي ما زالت في العقل الباطن لدى العديد من أفراد المجتمع الفلسطيني، يمكن القول ان المرأة الفلسطينية بحاجة الآن أكثر من أي وقت مضى إلى البيئة الداعمة والمتفهمة على مستوى العائلة والمجتمع وواضعي السياسات لتمكين الفتاة من اجتياز هذه المرحلة بأمان.

مسلسل الولادات على الحواجز!
أحمر... أخضر... أصفر... أسود

تحسين يقين

دلالتان من دلالات كثيرة أعادها الى السطح تكرار الولادات الفلسطينية على الحواجز الاحتلالية، الدلالة الأولى لها علاقة بما هو آني، أي بقسوة جنود الاحتلال ومن ورائهم حكوماتهم الاسرائيلية المتعاقبة، وسوء سلوك جنود خائفين من جنين يطل على الحياة من داخل رحم أمه الفلسطينية.

الدلالة الثانية لها علاقة بما هو بعيد واستراتيجي، حيث يكره الاسرائيليون كل ما يلد في فلسطين التي يريدونها وطناً بلا شعب لشعب بلا وطن، كما سوّق الصهاينة هذه الفكرة عبر قرن من الزمان أو يزيد.

لكن طفلة المواطنة أنوار محمد الرفاعي البكر من بلدة عناتا ولدت، جاءت الطفلة دارين تطل الاطلالة الأولى لها في هذه الحياة على حاجز شعفاط بدلاً من أن تكون مشاهدها الأولى في مستشفى المقاصد في الطور في القدس.

لقد منعت المجندة الإسرائيلية (وهي امرأة بالطبع!) السيدة أنوار من المرور لأنها تحمل بالطبع بطاقة هوية ضفة غربية وتستقل سيارة مقدسية ذات لوحة صفراء، حيث لم تصدق المجندة أن المرأة الفلسطينية أنوار ستلد! ولم تصدق ذلك إلا عندما أنجبت أنوار طفلتها (دارين) على كرسي السيارة، حيث قام الأطباء بعد ذلك بمساعدة أنوار على إكمال ولادتها وقص الحبل السري وانقاذ حياتها وحياة الطفلة!.

كان هم محمد زوج أنوار حين جاء زوجته المخاض أن يبحث عن سيارة بلوحة صفراء تستطيع السير على الشوارع الفلسطينية المفضية الى القدس والتي حرم منها الشعب الفلسطيني.

وقد حسب محمد (أبو دارين) ان مشهد أنوار ببطنها وحالة الولادة التي هي فيها ستجعل جنود الاحتلال يغضون البصر ويسمحون لها بالتوجه الى المقاصد للولادة!. لكن ظن محمد لم يكن موفقاً مع جنود لا يعرفون الولادة والحياة، بل يعرفون النفي والموت. ليست هذه المرة الأولى التي تلد فيها سيدة فلسطينية على الحواجز. لقد تكرر هذا السلوك القبيح من قبل الاحتلال، حتى أن صندوق الأمم المتحدة للسكان UNFPA انتج فيلماً أخرجته علياء ارصغلي عن الولادات على الحواجز، لقد فضح الفيلم جرائم الاحتلال، خصوصاً ان هناك من قضى من هؤلاء الأطفال ومات على الحواجز!.

كنت أتوقع أن يضع المجتمع الدولي علامة حمراء أمام الاحتلال لوقف سياسة التنكيل بالشعب الفلسطيني.

لكن تراخي المجتمع الدولي منح اسرائيل ضوءاً أخضر للاستمرار بالقمع وانتهاك حقوق الإنسان والمرأة والطفل وكل ما له علاقة بالإنسان.

الفصل العنصري الذي استلزم السماح فقط للسيارات ذات اللوحات الصفراء بالمرور على الطرقات، ومنع السيارات الفلسطينية من المرور، هو نفسه الذي جعل أصحاب السيارات المقدسية يتخوفون من السماح لنا بركوبها!.

إذاً نحن خطر!.

ولا أدري لم الخوف من الطفل الوليد؟ هل هو خوف من العامل الديمغرافي حيث يعتقد الاسرائيليون ان انجاب الفلسطينيين المزيد من الأطفال هو انفجار ديمغرافي يهدد أمن اسرائيل ووجودها!.

كأني رسام/ة كاريكاتير يرسم امرأة حاملاً على الحاجز، يفكر الجنود بأن داخل بطنها قنبلة لا طفلاً يرى. أسود هذا الزمان الذي نعيشه، أسود قاتم تنتهك فيه أبسط حقوق الانسان، أبسط الاخلاق، إذاً فكيف سنستأنف علاقتنا مع هذه الدولة الظاملة التي تزرع ذكريات سوداء داخل عقولنا جميعاً؟.

في الثامن من آذار ولدت أنوار طفلتها «دارين»، إنه يوم المرأة العالمي الذي ينطبق على كل نساء العالم ما عدا نساء فلسطين!.

مفارقة سوداء أمام حكومة لم يضع المجتمع الدولي أمامها ضوءاً أحمر لوقف كل هذه البشاعة.

عاملات رياض الأطفال .. وصورة أخرى للاستغلال

رام الله - فداء البرغوثي

صبح: تشكيل جسم نقابي .. أهم احتياجاتهن
القادري: نقوم بمهام متعددة في آن معاً
العنبتاوي: هروب العاملات .. مشكلة نواجهها

تطوير وضعية النساء العاملات في رياض الأطفال لتحسين أدائهن وإيجاد حل للكثير من المشاكل التي يواجهنها في هذا القطاع: هو ما تعمل عليه جمعية المرأة العاملة، حيث قامت المثقفات الميدانيات في الجمعية بفحص احتياجات مجموعة من عاملات رياض الأطفال كخطوة أولى على طريق التخفيف من وطأة أعبائهن وحل مشاكلهن، وقد تمحورت هذه الاحتياجات حول ضرورة وجود جسم قانوني يدافع عن حقوقهن، بالإضافة إلى تطوير مهارات التعامل مع الأطفال لديهن وتدريبهن تدريبا حقيقيا حول أساليب وتقنيات تعليمية تتناسب والتطورات في هذا المجال.

وفي هذا السياق أشارت ميسرة صبح المثقفة الميدانية في جمعية المرأة العاملة للتنمية، إلى أن اهتمام الجمعية بالنساء العاملات بهذا القطاع، جاء نتيجة وجود مشاكل حقيقية تعانيها النساء العاملات في رياض الأطفال في مختلف مواقع الوطن، كما جاء نتيجة الاحتياجات التي عبرت عنها النساء، من خلال الزيارات الميدانية، والاطلاع على احتياجاتهن وهمومهن، من بينها عدم وجود جسم قانوني يدافع عن قضايا العاملات في هذا القطاع أسوة بوجود نقابة أصحاب رياض الاطفال التي لا تعبر بدورها عن هموم ومشاكل العاملات في هذا القطاع.

غير مدفوعة الأجر!

وترى صبح أن من أبرز الإشكاليات التي تواجه عاملات رياض الأطفال، هي العطلة الصيفية غير مدفوعة الأجر من قبل أصحاب العمل، الذين يبررون ذلك بحجة أن رياض الأطفال لا تفتح أبوابها في العطلة الصيفية، وتاليا لا يوجد أي مردود مادي، يمكن من خلاله دفع الأجور للعاملات، مشيرة إلى بعض المخارج اللاقانونية التي يسلكها بعض أصحاب العمل، من أجل سد هذه الثغرة التي تتعلق بأجور العاملات في العطلة الصيفية، حيث يلجأ هؤلاء إلى اقتطاع جزء من الأجر الزهيد الذي تتقاضاه العاملات شهريا، لإعطائه لهن كأجر في العطلة الصيفية. وأخيرا شددت صبح، على أن مسؤولية دفع أجور العطلة الصيفية، للنساء العاملات في هذا القطاع، هي مسؤولية وطنية تقع على عاتق الجهات المسؤولة على اختلافها وعلى رأسها وزارة التربية والتعليم ووزارة العمل، مع الأخذ بعين الاعتبار أن عاملات رياض الأطفال هن معيلات لأسرهن، وأن أي تقصير من قبل الجهات المعنية يمكن أن يؤثر على توفيرهن للحد الأدنى من متطلبات أسرهن. وتؤكد صبح أن الجمعية تقوم حاليا بتنظيم دورات توعوية لتطوير وعي النساء العاملات بحقوقهن وتطوير قدرتهن على تنظيم حل مشاكلهن التي تتعلق بالإجازات وتحديد حد أدنى للأجور ومكافآت نهاية الخدمة والالتزام بالوصف الوظيفي، مشددة على ضرورة استمرارية مثل هذه الدورات من اجل توسيع إدراكهن ومعرفتهن بحقوقهن. مشيرة إلى أن البرنامج يعمل في الوقت الحاضر على تشكيل هذا الجسم من النساء العاملات في نفس المجال كونهن الاقدر على تفهم احتياجات ومشاكل بنات جنسهن وكونهن الأقدر على المطالبة بالحقوق في حال تشكيلهن قوة ضاغطة في المجتمع.

ومن جانبها تؤكد صبح على ضرورة تفعيل الآليات من أجل تطبيق أحكام قانون العمل في كل المواقع بما فيها رياض الاطفال، وذلك حفاظا على حقوق المرأة العاملة التي تعطي وقتها وجهدها مقابل أجر زهيد أو أجر بالكاد يذكر، تحديدا أن العمل في قطاع رياض الاطفال يقتصر فقط على النساء دون الرجال كونهن الأقدر على تحمل مسؤوليات تربية الاطفال ورعايتهم، حيث يعتبر هذا النوع من العمل بمثابة امتداد لعملهن في المنزل.

تفتقد الكثير من الحقوق

أما رندة القادري فقد تحدثت من منطلق تجربتها كمربية في رياض الأطفال وصولا إلى صفة نائب مدير في إحدى رياض الأطفال في نابلس، حيث أشارت بداية إلى أن معلمة رياض الأطفال تفتقد إلى كثير من الحقوق التي يضمنها لها القانون حيث يتم التعامل معها كعاملة مجردة من أي نوع من الحقوق: ساعات عمل طويلة، إجازات سنوية لا تتجاوز في مجملها السبعة أيام، عطلة صيفية غير مدفوعة الأجر، ناهيك عن قيامها بعدة مهام بذات الوقت، بالإضافة إلى كونها مربية في رياض الأطفال. بمعنى أن مربية رياض الأطفال، يمكن أن تكون عاملة تنظيف، مشرفة تربوية للطفل، موزعة في الباص في آن معا. وهذا لا يعني على حد تعبير القادري، أن رياض الاطفال عموماً تتعامل مع عاملة رياض الأطفال بذات الطريقة. بل يختلف الأمر إلى حد ما لدى المدارس التي تحوي اعداداً كبيرة من الطلاب مع تلك التي تحوي عدداً أقل. حيث تظهر للنساء فيها بعض الحقوق ومنها الاعتراف بقيمتها كأكاديمية في مجال تطوير مهارات الطفل وأجور ضمن الحدود المعقولة على عكس رياض الاطفال ذات الحجم الصغير حيث تتقاضى النساء العاملات أجوراً متدنية تتراوح ما بين ٦٠ دينارا إلى ١٠٠ دينار أردني.

وطالبت القادري بصفتها متطوعة في جمعية المرأة العاملة بضرورة تشكيل جسم نقابي، يحمي حقوق العاملات في رياض الاطفال ويعالج الكثير من المشاكل التي تعترض ذات العاملات، حيث أن الكثير منهن يخشين البوح بالتجاوزات التي تحدث داخل أروقة رياض الاطفال خوفاً من فقدان وظائفهن نظراً لغياب سيادة القانون.

ليس هناك حد أدنى للأجور

وفيما يتعلق بتحديد الحد الأدنى من الأجور، يؤكد المحامي كارم نشوان أن ستة أعوام مرت على إقرار قانون العمل رقم ٧ للعام ٢٠٠٠ وحتى اللحظة لا يوجد تحديد حد أدنى للأجور، وهذه مشكلة جسيمة تقع على عاتق وزارة العمل التي يجب أن تتحمل مسؤوليتها كاملة، كي تنجز بشكل سريع جميع اللوائح والأنظمة الداخلية المتعلقة بهذا القانون، ومنها قضية تحديد الحد الأدنى للأجور. مشيرا إلى أن هذا التأخير كانت له نتائجه العملية تتمثل بمزيد من الانتهاكات التي يمارسها أصحاب العمل ضد العاملين والعاملات في مختلف المواقع.

بين ثقافة المجتمع وتحقيق الذات

ختام جرار تقود حافلة للأطفال في جنين

جنين - مها زيد

صباح كل يوم تصعد ختام جرار حافلة نقل أطفال الروضة وتجلس خلف المقود لتقود هذه الحافلة ومنذ عام تقريبا وختام وهي من بلدة ميثلون جنوب جنين (في الأربعينيات من العمر) تقود حافلة الروضة لتقوم بذلك بعدة مهام في هذه المؤسسة التعليمية التي تملكها، فهي تقوم بمهمة مديرة الروضة ومعلمة فيها الى جانب قيادتها للحافلة التي تقل فيها الطلاب من بيوتهم الى الروضة. وتقول ختام انها وبعد أن واجهت العديد من المشاكل فيما يتعلق بايجاد السائق المناسب قررت ان تقوم هي بهذه المهمة التي لم تتردد مطلقا في القيام بها. وتملك ختام من قوة الإرادة والثقة بالنفس ما يجعلها تقوم بهذه المهمة والتي تحدد من وجهة نظر المجتمع بأنها «مهنة رجال». وتقول انها وعلى الرغم من طبيعتها الأنثوية والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، خاصة المجتمع القروي، الا انها تمكنت من تحدي هذه الصعوبات المجتمعية.

عام النجاح

وتشير جرار الى انها وبعد عمل دام سبعة عشر عاما كمعلمة في احدى رياض الاطفال في قريتها اتخذت منحى آخر في هذا العمل الذي تعشقه الى حد التماهي، كما تقول، ما دفعها الى تأسيس روضة اطفال خاصة بها. وعن ذلك تقول انها أسست الروضة منذ خمس سنوات حيث بدأت بعدد قليل من الاطفال غير ان هذا العام قفز العدد الى حوالي المئة طفل، ما يعني لها نجاحا كبيرا، لاسيما هذا العام الذي تعتبره عاما للنجاح في حياتها العملية.

وبعد معاناة واشكاليات كبيرة مع سائقي الحافلة الخاصة بالروضة تقرر ختام الحصول على رخصة القيادة الخاصة بالحافلة لتقوم هي بدور السائق «... هذا الدور الذي كان حكرا على الرجال ...» تقول جرار.

صعوبات ولكن

لا تنكر جرار أن صعوبات عديدة ومعظمها صعوبات مجتمعية واجهتها ازاء اتخاذها هذه الخطوة في البداية، خاصة في ظل البيئة القروية التي تحيط بها الا أن ثقتها بنفسها الى جانب تقبل الاهل ومساندتهم لها عملا على تجاوز هذه الصعوبات. وتبتسم جرار ابتسامة الواثق من نفسه قائلة: «طالما عملي ليس فيه عيب فلا يهمني كلام الاخرين» بل اللامعقول أن يغلبني سائقو الباصات والاصطدام المستمر بمشاكلهم. وتؤكد جرار أن للتربية دورا كبيرا في زرع ثقة المرأة في مجتمعنا بنفسها منذ الصغر، مشيرة الى ان والدها، رحمة الله، عوّدها على أن تفعل ما تريد وتكون قادرة على اتخاذ القرار منذ أن كانت صغيرة.

وعن دور الاهل تؤكد جرار أن أخاها وهو الوحيد عندما اصطدمت بمشاكل سائقي الباصات شجعها على أن تقود الباص بنفسها وتستغني عن السائقين، وكذلك زميلاتها المعلمات في الروضة عندما انسحب سائق الباص واحتارت بآلية جمع الطلاب اقترحوا عليها أن توزع الطلاب هي، ما شكل لها دافعا لتخوض هذا المجال فهي نشأت على الثقة بالنفس والقدرة على اتخاذ القرار ومواجهة التحديات.

من ناحيته، قال مدير دائرة الصحة النفسية – جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني – الدكتور فتحي فليفل ان للظاهرة السلوكية ايا كانت أسباباً حصلت في الماضي وأهدافا يصبو الفرد لتحقيقها في المستقبل.

وفي النظرة العائلية ينظر للفرد على أنه محور في شبكة علاقات دائمة مع أفراد الأسرة فهو يؤثر ويتأثر بهم، كما أن للتنشئة الاجتماعية دوراً بالاتصال السليم بين أفراد العائلة فعندما تمنح الاسرة للفرد حق التعبير عن الذات وعندما يكون هناك اتصال مفتوح بين الأبناء مع الاب والأم فانه يخلق فرصة للتعبير عن الرغبات والاتجاهات، وتعزيز للسلوكيات. وقال فليفل إن اعطاء أبنائنا مساحة من الحرية والثقة يخلق لديهم استعدادية ونضجاً في تصرفاتهم، ما يطور ويعزز سلوكياتهم، وأضاف أن ذلك يدعم الفرد باتخاذ القرارات.

وفيما يتعلق بهذا السلوك الذي صدر عن امرأة تعيش في مجتمع له عاداته وتقاليده الخاصة يرى الدكتور فتحي انه سلوك طبيعي ينم عن مدى الايمان والقناعة المطلقة بالقدرة على القيام بما يفكر به الفرد بغض النظر عن الجنس او التركيبة البيولوجية. فالمسألة مرتبطة أساسا بالقناعة الشخصية والاستعداد للمحاولة وايمان بالقدرات الذاتية والتي بدورها تتفجر تاركه وراءها ابداعا وانجازا هائلاً ينعكس على حياة الفرد ويزيد من ثقته بنفسة، ويرفع من ايمانة بالقدرة على التغيير.

نظرة المجتمع

تختلف نظرة المجتمع لعمل المرأة في مجال قيادة السيارات وخاصة وسائل النقل العامة، فالبعض يرفض من حيث المبدأ وهذا ما تجده لدى المواطن ابو علي من القرى المحيطة فيقول: «إن طبيعة المرأة البيولوجية لا يناسبها هذا العمل وعليها الاهتمام بأبناء الاسرة وتربيتهم سواء هي الأم أو المعلمة». وأضاف «أن مثل هذا العمل يتطلب عبئا فكريا وجسديا لا تقدر المرأة على الالتزام به، علاوة على أنه لم تنضج بعد فكرة قيادة المرأة للسيارة خاصة قيادتها للباص العمومي».

وفي اتجاه آخر نجد فريقا آخر يتناقض مع هذا المبدأ، ويجسده مصطفى علي الذي يحترم المرأة التي تصارع الحياة وتكافح وتكون قادرة على تحمل المسؤوليات ويقول (مصطفى علي) إن المرأة الفلسطينية هي الأم والمعلمة والمثقفة والشهيدة والمعتقلة. وعمل المرأة في هذا المجال حق لها كالرجل وعلى عقلية المجتمع أن تنضج وتشجع المرأة على المساهمة في جميع النشاطات المجتمعية. اما المواطنة سائدة وهي والدة احد اطفال هذه الروضة فقالت، انها باتت مطمئنة اكثر على ابنها منذ ان باشرت ختام بالقيادة لأن طبيعة المرأة عاطفية اكثر من الرجل.

واعتبرت جرار أن تقبل المجتمع وثقة أهالي الطلاب بكفاءتها أعطياها ضوءا أخضر للاستمرار في قيادة الباص، وتقول لمست غيرة النساء اللاتي أصبحن يطمحن لتعلم السياقة، كما أطمح في الحصول على رخصة عمومي وشراء حافلة أكبر حجماً لتتمكن من القيام بأغراض كثيرة، ونوهت ختام بأنها أصبحت تنقل طلبات خاصة في داخل البلدة وخارجها وأكدت أن طلباتها للنساء والعائلات دون ان يكون للرجال نصيب في طلباتها ... كما وجهت جرار نصيحة بضرورة احترام المجتمع الفلسطيني للمرأة والتعامل معها على أنها حلقة فاعلة وعنصر منتج وكفاءة تحقق ذاتها.

أمسية ثقافية مع الروائية الفلسطينية «ليلى الأطرش»

خاص - صوت النساء

ليلى الأطرش هي روائية فلسطينية مبدعة من بيت ساحور تطرح إبداعاً روائياً يعالج قضايا المرأة في سياقه الانساني والاجتماعي والسياسي، وبشكل خاص المرأة الفلسطينية. دعمت ثقافتها الاكاديمية في ميدان الادب العربي ودراستها للحقوق واتقانها الفرنسية طاقتها الابداعية، كما ساهم عملها الإذاعي والتلفزيوني كمقدمة ومعدة برامج في إثراء أعمالها الروائية. لها خمس رايات: وتشرق غرباً-٨٧٩١ وتدور أحداثها في مسقط رأسها بيت ساحور التي تسميها «بيت أمان»، اما روايتها امرأة للفصول الخمسة-٠٩٩١ فتدور أحداثها في الخليج، وفيها نقد لاذع لكيفية تكوين الثروة. وتتميز رواية ليلتان وظل امرأة ٨٩٩١، ورواية صهيل المسافات-٢٠٠٢، بانهما يقدمان تحليلاً للضعف الإنساني والإنهيار الذي يشكل انهياراً للزيف الذي يعيشه المجتمع كان رجلاً أم امرأة، أما في روايتها الأخيرة مرافئ الوهم ٥٠٠٢، فتطرح بقوة ان المرأة هي الأصل.

إضافة الى تجربتها الروائية، لليلى الأطرش مجموعة قصصية بعنوان (يوم عادي وقصص أخرى). روز شوملي مصلح مديرة طاقم شؤون المرأة قالت في تقديمها لليلى الاطرش " في مقابلة تلفزيونية لي، سئلت عن المؤثرات التي دفعتني في مسار الأدب والشعر، أجبت أبي، وأستاذ اللغة العربية توفيق أبو السعود، وليلى الأطرش التي كانت كتبها مصدراً أساسياً لحبي للأدب.

كانت ليلى تقرأ كثيراً، وكانت تكتب من وقت لآخر وترسل ما تكتب لجريدة الجهاد، ولم تدر ابنة السابعة عشر أن كتاباتها سوف تثير ضجة تصل حد التهديد بالقتل، فقد تجرأت وكتبت قصة عن جريمة القتل على خلفية الشرف.

بعدها بدأ اسمها يلمع كصحفية، ووجدت نفسها دون سابق تخطيط وفي مرحلة مبكرة تكتب بانتظام في جريدة الجهاد التي كانت تصدر في القدس. بعدها أصبحت مسؤولة التحقيقات الصحفية في كبرى الصحف الأردنية، والقطرية.

ومن بداية العمل في الصحافة المكتوبة إلى العمل في إذاعة الأردن وقطر ثم العمل التلفزيوني حيث قدمت عشرات البرامج على الهواء مباشرة أو مسجلة، والعديد من الأفلام التسجيلية من خلال دراسات وتحقيقات ولقاءات مع رموز السياسة والفكر والأدب والفن في مواقعهم من الوطن العربي، مرت أكثر من عشرين سنة، لم تكتب فيها ليلى سوى قصتين قصيرتين.

تتضمن الأمسية تضمنت عرضا لفيلم حول تجربة الكاتبة الإبداعية في مجال الرواية تتلوه مداخلة من الكاتب عبد الفتاح القلقيلي، ومن ثم حديث للروائية حول تجربتها الأدبية مع قراءات من بعض رواياتها. يلي ذلك حوار مفتوح. واختتمت بتوقيع رواياتها الأخيرة مرافىء الوهم.

ثلاثة حوارات.. ثلاث حكايات

بقلم: سما

الحوار الأول: بيني وبين صديقتي..

أنا: زوجي يخونني.

صديقتي: هل ضبطته متلبساً يضاجع امرأة..؟!

أنا: لا.

صديقتي: هل ضبطته يغازلها أو يقبلها..؟!

أنا: لا.

صديقتي: إذاً كيف اكتشفت خيانته لك؟!

أنا: سمعته ينادي ويهتف باسمها وهو نائم إلى جواري...

صديقتي ضاحكة: وهل ستحاسبين زوجك على أضغاث أحلامه..؟!

أنا: ليس هناك شيء اسمه أضغاث أحلام لأنني أؤمن ايماناً قاطعاً أن الأحلام ما هي الا تعبير عن كوامن ورغبات داخلنا، يعني باختصار ما نفكر به في النهار ونهرب منه أو نتمناه فإننا نحلم به في الليل.

صديقتي: لا أؤيدك في هذا الاعتقاد، فربما ايضاً جاءت هذه المرأة لزيارتكم او ورد ذكرها في حديثكما او حدثت مناسبة جمعتكم بها.

أنا: لو كان الأمر كذلك لقلت انها مجرد صدفة او ربما نام زوجي متأثراً بحادثة مرت بها هذه المرأة ولكن الغريب أنها بعيدة عن مجتمعنا.. لا نراها الا لماماً ولا نسمع أخبارها الا قليلاً، فهذا ما جعلني أتأكد ان هناك شيئاً ما وراء الأكمة.

صديقتي: ما زلت أصمم أن الأحلام ليست دليلاً للاتهام.

أنا: يكفي أنه ذكرها وهو نائم الى جواري وفي مخدعي.. إن ذلك خيانة للعاطفة والإحساس والإنسانية قبل أن تكون خيانة الجسد لأنني أعتبر أن خيانة الجسد ربما تكون نزوة او هفوة او نزعة شيطانية سرعان ما تنتهي.

صديقتي: ليس أمامك سوى انتظار الدليل المادي على كلامك.

أنا: نعم أنا واثقة أن الأيام ستؤكد ظنوني.

إلى هنا هذا الحوار.

في الليلة التالية يرقد زوجي متعباً الى جواري ويغط في نومه العميق الذي يسبقه الشخير. أكتشف أن ساعة المنبه متوقفة وأنا أحتاج للمنبه حتى أستيقظ باكراً لتجهيز أطفالي للمدرسة، فأمدّ يدي الى هاتف زوجي النقال الملقى بكل براءة الى جوار السرير لأضبط المنبه المبرمج بداخله. تعبث يدي ربما لأول مرة بأزرار الهاتف النقال لأنني دوماً أعتبر الهاتف النقال الخاص بزوجي هو جزء من عمله بل هو كائن غريب يدخل الى بيتي مثل ملف او كشف أوراق من التي يتعامل بها زوجي في مكتبه.

أعبث بالهاتف النقال لزوجي.. فأتعثر برسالة (sms) مرسلة الى تلك المرأة.. التي كان زوجي يحلم بها في الليلة السابقة.. تاريخ الإرسال: صباح اليوم التالي للحلم. نص الرسالة: عبارة قصيرة جداً هي نفسها.. ذاتها، تلك التي هتف بها زوجي في نومه: أوحشتني يا ملاكي.. وهل الملائكة تسكن الأرض..؟!.

الحوار الثاني: أنا وطفلتي..!!

ابنتي باكية: لا أريد الذهاب إلى الروضة.

أنا: ولكن يجب عليك الذهاب حتى تتعلمي وتستعدي للمدرسة في العام المقبل.

ابنتي وهي مستمرة بالبكاء: ولكني لا أريد أن أذهب الى المدرسة، سوف أتعب نفسي وفي النهاية سأتزوج وأظل في البيت.

أنا: ولكن (للمرة الثانية أكررها) يجب أن تتعلمي القراءة والكتابة حتى تفهمي الدنيا من حولك وتفهمين برامج التلفزيون وتقرأين الصحف وتعرفين الأخبار. ابنتي: ولكن الأغاني لا تحتاج الى مدرسة فأنا أحفظ كل أغاني نانسي عجرم دون أن أدخل المدرسة.. والجرايد كلها صور بتخوف وكلام «ما فيش منه فايدة»..!!

(لاحظوا فلسفة ابنتي).. ولاحظوا كم مرة ستتكرر كلمة لكن في هذا الحوار.. أنا: ولكن يا ماما عندما تتعلمي وتتخرجي من الجامعة سوف تعملين في مهنة محترمة وتنفقي على نفسك و... كنت سأقول لها تؤمنين مستقبلك.. ولكنها لن تفهم معنى المستقبل.. فأردفت قائلة.. وساعتها سوف تتزوجين من رجل مناسب: طبيب أو مهندس مثلاً..

ابنتي: ولكن جارتنا مها التي كانت تلعب معي في فناء البيت تزوجت من رجل غني وأقام لها حفل زفاف في قاعة كبيرة.. لقد كان حفل زفافها وثوبها رائعين.. قالت العبارة الأخيرة وهي تصفق بيديها وتلتمع تلك الأحلام الزجاجية في عينيها الجميلتين البريئتين.

أنا: ... صمت... صمت ثقيل... حيرة... لا إجابة... كهاتف نقال أصبح خارج التغطية.. هكذا أنا أصبحت.

تعقيب مني: مها جارتنا الصغيرة ابنة الرابعة عشرة.. جميلة جداً، فقيرة جداً، لدرجة البؤس، كنت أناديها من شرفتي دوماً لكي تأخذ بيد طفلتي الصغيرة إلى فناء البيت لتلهوان بالدمى.. كنت أرى من شرفتي سعادة مها بالدمى وخاصة الدمية «فلة وباربي» أرى سعادتها أكثر مما أرى سعادة ابنتي، فأصبحت أتعمد أن أنادي عليها لتلهو مع ابنتي فأجدها كل يوم تنتظر إشارة مني من شرفتها التي تقابل شرفتي وفجأة اختفت مها. بلا مقدمات تلقيت دعوة فاخرة الطباعة الى حفل زفافها.

الحوار الثالث: أنا وزوجي.

قررت أن أصارحه، أن أكسر حاجزِ الصمت بيننا لمرة واحدة منذ سنوات.

أنا: لماذا تعود كل مساء مصطحباً الجريدة بكل الملحقات والنشرات التي تصدر معها ما عدا ملحق «صوت النساء» فأنت لا تصحبه معك الى البيت، وفي كل مرة أسألك عنه ترد بإجابة غير مقنعة حتى مللت من الاسئلة او كففت عن البحث عن ردود ملفقة.

هو: بصراحة أنا أكره هذه المجلة.

أنا: لماذا؟

هو: بسبب الرسم الذي يتصدر منذ سنوات غلافها الأخير.

أنا: هل تقصد رسم الميزان غير المتوازن الكفتين.

هو: نعم. أقصد هذا الرسم لأنه يستفزني ويثيرني في كل مرة أراه، فأشعر برغبة لا أستطيع مقاومتها في تمزيق المجلة كلها، بل انني في كثير من الأحيان فعلت ذلك فإذا أنا أرى هذا الرسم بكفتيه يحاصرني في المكتب وعلى شاشة الحاسوب.. وحتى في سيارة الأجرة.

أنا: ومتى يتلاشى من مخيلتك هذا الميزان..؟!

هو: عندما أعود الى البيت فأنهال عليك بلا أسباب او بأسباب واهية توبيخاً وتقريعاً، فأشعر ان الميزان يختفي من أمامي وتظهر بدلاً منه صورة أطلس البطل الإغريقي الخارق، ولكنه في هذه المرة يرفع بين يديه امرأة مذعورة!

أنا: ولماذا تكره هذا الميزان الذي لا يظهر سوى الحقيقة، فالمرأة مهضومة ومظلومة منذ قديم الأزل وحتى وقتنا الحالي.

هو: ان هذا التصور تتخيله النساء فقط كلما أمعن الرجال في سطوتهم عليهن ولكن الحقيقة الكامنة في أعماقي كرجل أنني كلما أمعنت في قهرك وإذلالك والسطو على حقوقك.. أراك تقوين وتكبرين وتعظمين وتتضخمين.. يكفي أن أشعر أن أبنائي الذين يحملون اسمي هم أبناؤك أنت وحدك.. يتحركون بإشارة من رموش عينيك، وأن البيت الضخم الذي هو بيتي ومن مالي أشعر أنه بلا وجودك هو بيتك أنت. تذكرين حين دخلت المشفى لأيام، لقد حاولت أن أقوم بدورك في البيت ومع الأولاد وفشلت، وجدتك في الثنايا والزوايا، في الثلاجة وجدتك، وفي الأغطية، وفي علب البهارات، وجدت أن البيت هو كومة من الأسرار لا يعرفها سواك، حتى الأطفال وهم حاملون حقائبهم الى المدرسة كانوا مختلفين تماماً، قرأتك في أعينهم، وكأنك تودعينهم كما اعتدت حتى باب البيت الخارجي بينما أنا أغط في نومي، أحسست بك تكبرين وتعظمين وأنت بعيدة، وأنا لا شيء، ورغم أني مالك كل شيء حتى حين حاولت أن أعد لنفسي كوباً من الشاي مختلفاً، عبثاً لم يكن ساخناً، وعبثاً لم يكن شاياً.

أنا مذهولة: اذاً أنت تعترف أن ضعفي هو سر قوتي.

هو: نعم، وكلما زدت في قهرك تأكدي أنني أراك أقوى وأقوى.

أنا: ولكن شعوري بالغبن وأنني مهضومة الحقوق كغيري من النساء لا يفارقني ومحاولات القيادات النسوية مستمرة لكي تأخذ المرأة بعضاً من حقوقها. هو: معركتكم خاسرة لأن الرجل اعتاد أن يعطي من هم أضعف منه ولكنكن أبداً لستن كذلك!!

ملاحظة: الحوار الأخير بيني وبين زوجي مجرد حلم.

في الدعاية وزارات... وفي الحكومة وزيرة واحدة فقط!!؟

إعتراف الريماوي

نعرف أن المساواة بين المرأة والرجل هي عملية متواصلة ومرتبطة بعوامل مختلفة إقتصاديا وإجتماعيا وكذلك سياسيا وثقافيا وقانونيا وقيميا...إلخ، وما زالت هذه العوامل وتفاعلها تفضي لمحصلة تنتقص من مكانة المرأة في دورها الإجتماعي بمجتمعنا، وتعطيها مكانة ثانية بعد الرجل ليس مثله، ويمكن الرجوع للإحصاءات الرسمية ونرى النسبة الضئيلة للمرأة في النشاط الإقتصادي أو في المناصب العليا بالمؤسسات الحكومية والخاصة والأكاديمية...إلخ.

وعندما تُطرح قضية المساواة بين المرأة والرجل، أو على الأقل فسح المزيد من الفرص أمام تطور وضع ودور المرأة في المجتمع، تأتي الإجابات والوعودات الحسنة، وعند التطبيق ترى العكس ولا يمت بصلة للموقف والطرح السابق، فإنتخابات التشريعي أفرزت من المرأة ما تم إلزامه للقوائم قانونيا، وعلى الدوائر لم تفز ولا إمرأة، بل هو عدد ضئيل جدا الذي ترشح من النساء على مستوى الدوائر مقارنة بالرجال، وها هي الحكومة الجديدة تضم ٢٤ وزيرا وكان حظ المرأة فيها حقيبة واحدة؟! رغم أن الكتلة التي شكلت الحكومة قد وعدت أثناء الدعاية الإنتخابية وما قبلها بأكثر من ذلك على مستوى دور المرأة وتمثيلها.

هل هذا التمثيل(في الحكومات وغيرها) والحجم الذي يُعطى للمرأة ناتج عن عدم وجود مقدرة أو كفاءة بين النساء؟ أم أنه ينُم عن ذهنية الفهم والتعاطي مع قضية ودور المرأة؟ أنا أرى أن الذهنية هي وراء ما يحصل، ولا يجب أن يمر مزيدا من الوقت دون مراجعة جادة لهذه الحال وحسم المواقف بصورة لا تقبل التأويل، ويقع على عاتق الحركة النسوية(وأنصارها من الأحزاب ومختلف المؤسسات والفعاليات) أولا أن تقف أمام حالة الخداع الحاصلة بين طرح الشعار من قبل البعض وبين تجلياته وممارسته، وليتم وضع الأمور في نصابها بشكل أكثر دقة ووضوح، ولا داعي لمن يحمل نظرة دونية للمرأة أن يُجامل المرأة بموقف إعلامي ودعائي لحظي ويمارس عكسه تماما في المحكات اللاحقة بل في الحياة بشكل عام، فتجربة شعبنا الوطنية والإجتماعية والسياسية غنية وحافلة ولا بد من الإستناد إليها وتقييمها ونقدها، فالذهنية تلك لم تكن وليدة لحظة، بل كانت دوما حصيلة ممارسات سابقة وإمتداد لها، وبالتالي فعملية التقييم هذه ضرورية جدا لوضع البرامج وآليات العمل القادمة النابعة من الإحتياجات المباشرة، وليس بناء على الإنبهار اللحظي أو الإستكانة للتبريرات أو الوعود التي ما أثمرت يوماً، رغم تجريبها أياما وسنوات وعقود.

أعرف أن مشكلة المرأة لا تُحل حتى لو تم إسناد حقائب أكثر لها في أي حكومة كانت، ولكن ذلك بالإضافة للتشريعات التي تعمل على إفساح المجال أمام المرأة نحو مساواتها بالرجل، تُساند في عملية تحرر المرأة، ولكن الأمر الذي يجب التركيز عليه دوما هو الجذر الحقيقي النسبي للحراك الإجتماعي، فيجب الإستناد في التحليل للبناء التحتي(الإقتصادي الإجتماعي) للمجتمع في أي قضية كانت، ومن ثم الصعود لأعلى، آخذين بعين الإعتبار أهمية البنى الفوقية الناتجة(السياسة والقيم...) الموجودة والسائدة وضرورة فهمها وإشتقاق الطرق المناسبة للتعامل معها، لتكن أقل إعاقة بوجه عملية التغيير المطلوبة، لأن التغيرات من هذا الطراز تواجه ممانعات جمة لإرتباطاتها المصلحية المختلفة والمتناقضة إقتصاديا وإجتماعيا وما يُبنى فوقهما.

ضمن هذه الرؤيا نجد مختلف القضايا التي نعيشها، بما فيها قضية المرأة بخصوصيتها وتشابكها العضوي مع القضايا والتفاعلات الأخرى، وعلى مختلف المستويات.

مذيعة العربية منتهى الرمحي:

لست انتهازية .. وتستهويني المغامرات الإعلامية !

عمان - محمد الشايب

عمّان: عرف الناس المذيعة الأردنية ذات الأصول الفلسطينية منتهى الرمحي، من خلال برنامج "يسعد صباحك" على التلفزيون والفضائية الأردنية، ومن ثم مذيعة للأخبار وبرنامج "للنساء فقط" في قناة "الجزيرة" الفضائية، ومن ثم قناة "العربية" الفضائية، التي لا تزال تعمل ضمن طاقمها، وتقدم فيها برامج متميزة ومتنوعة منذ سنوات. وتعمل في مجال الإعلام منذ ١٥ عاماً، بعد أن حصلت على بكالوريوس في اللغة الإنكليزية من الجامعة الأردنية .. وتقول الرمحي عن نفسها: "أنا إنسانة بسيطة عادية ..أحب عملي كثيراً، وأحب بناتي الثلاث كما أحب الحياة .. لست جدية كما يراني البعض من خلال الشاشة، فأنا مرحة وأنظر إلى الحياة دوماً بمنظار التفاؤل".

في الفترة الأخيرة حلت الرمحي ضيفة على عدة مهرجانات، في العاصمة الأردنية، عمّان، التي شهدت أولى خطواتها نحو "طريق النجومية والتألق" .. معها كان الحوار التالي:

* سمعنا أن والدك كان يعارض عملك في التلفزيون .. لماذا؟

– كان والدي رحمه الله يعارض العمل في التلفزيون، ربما بسبب ثقافته وعقليته "القديمة"، كما كان يرى انه هذا العمل يتعارض مع الدين، كوني أخرج أمام الملايين دون حجاب .. كان والدي متزمتاً ويرفض الفكرة تماماً، لكني صممت على تغيير وجهة نظره هذه، وأكثر ما أسعدني أنه توفي، وهو راض عني وفخور بما أنجزه، خصوصاً أنني لم أفعل ما يتعارض مع ما تربيت عليه وأقتنع فيه.

* بدأت من التلفزيون الأردني وتألقت من خلال برنامج يسعد صباحك .. حدثينا عن هذا البرنامج ومشاعرك عندما ابتعدت عنه؟

– أعتبر برنامج "يسعد صباحك" المفصل المهم في حياتي المهنية .. ثمة ثلاثة مفاصل أساسية بالنسبة لي من الناحية العملية: برنامج "يسعد صباحك"، الذي قربني أكثر من الناس، وجعل علاقتي بهم أكثر دفئاً، كما أنه علمني إدارة الحوار، والمفصل الثاني هو انتقالي لقناة "الجزيرة" التي عملت بها أكثر من ست سنوات، والمفصل الثالث انتقالي إلى قناة "العربية"، التي أعمل بها منذ سبعة أشهر فقط.

لكن يسعد صباحك علمني أهمية الوقت، وعلمني كيف أخاطب الناس، وانه اذا أردت التغيير فعليك أن تخاطب الناس بما يحبونه وليس بما يكرهونه، كما أن المواضيع التي كنا نختارها انا والزميلة فكتوريا عميش مخرجة البرنامج كانت مؤثرة، وبذلنا من خلالها مجهوداً كبيراً، لدرجة أننا قدمنا مساعدات للفقراء والمحتاجين، من خلال البرنامج .. يسعد صباحك هو الخطوة الاولى نحو الاتصال بالناس، وعدنما ابتعدت عنه أحسست بمشاعر الأم التي تودع أحد أبنائها، وربما أعزهم.

* تألقت في الجزيرة فكيف كان الانتقال إليها؟

– انتقالي لقناة الجزيرة صدفة إن صح التعبير، فقبل تأسيسها أعلنت القناة عن قبول طلبات التوظيف .. لم أتقدم وقتها لارتباطي الشديد بالتلفزيون الأردني .. لم أكن أفكر بترك المكان الذي أحبه .. لكن القائمين على القناة طلبوا لقائي وجرى الحديث عن ماهية القناة وطبيعتها، فشعرت أنها أشبه بالحلم .. قناة عربية إخبارية حرة .. تتجاوز الكثير من الخطوط التي تلجم عمل القنوات الأخرى، فأحببت أن أشارك في صنع هذا الحلم مع زملائي الآخرين في القناة .. بدأت مع الجزيرة منذ ولادتها وبقيت معها حتى أتمت ست سنوات من عمرها، شعرت خلالها أن القناة باتت توازي القنوات العالمية، ورغم تحفظات البعض على ما تقدمه من برامج، إلا أنها قناة متميزة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ .. أسست نهجاً إعلامياً باتت تتبعه العديد من الفضائيات.

* سر انتقالك إلى العربية .. أم أن الأسباب مادية بحتة؟

– ليس في الأمر أسرار .. عندما تقضي فترة معينة في مكان ما، تمنحه كل ما تملك وتأخذ منه الكثير، تتولد في نفسك الرغبة بتحقيق المزيد في مكان آخر .. وكانت "العربية" هي المرتع الخصب الجديد لأحلامي، فهي قناة إخبارية جادة .. إنها قناة جديدة في مرحلة التأسيس، لكنها حلم أيضاً بالنسبة لي، وسأعمل جاهدة وزملائي على تحقيقه .. يسعدني أن تتميز الفضائيات الإخبارية العربية في صنع وصياغة وتقديم الحدث، كي لا تحتكر القنوات الغربية فكر العالم وتوجهه كيفما تشاء .. كل ما يهمني أن تنافس الفضائيات العربية على المستوى العالمي .. إنه حلم ويجب أن أشارك في تحقيقه، بغض النظر عن المكان الذي أنطلق منه.

أتمنى أن تنطلق قنوات فضائية إخبارية عربية أخرى، علاوة على القنوات الموجودة حالياً، كي تمنح المتفرج العربي وغير العربي فرصة في اختيار ما يريد، وفق المنهجية التي يحب ويرغب، وحتى لا يكون ثمة احتكارية في المنهج والرؤيا التي تقدمها قناة أو اثنتين أو ثلاثة على الساحة العربية .. هناك من يحب أسلوب "الجزيرة"، وهناك من يحب أسلوب "العربية"، وهناك من يفضل "أبو ظبي" ... جميل هذا التنوع، لكننا نريد المزيد.

* البعض يعتبر انتقالك إلى العربية نوع من المغامرة والبعض الآخر يرى أنه انتهازية .. ماذا تردين؟

– انتهازية ! .. لماذا .. الوضع المادي في "العربية" لا يختلف عنه في "الجزيرة" كثيراً .. لم تعطني العربية ثلاثة أو أربعة أضعاف ما كنت أتقاضاه في الجزيرة كي يقال انتهازية .. هذا كلام غير صحيح بتاتاً .. أما الحديث عن مغامرة، فهي طبعاً مغامرة، فحتى انتقالي من التلفزيون الأردني إلى الجزيرة مغامرة كونها كانت لا تزال في مرحلة التأسيس .. يبدو أن فكرة الاستمرار في المغامرات استهوتني .. فربما إن افتتحت قناة جديدة في موزمبيق أنضم إلى طاقمها، إن وجدت نفسي مقتنعة بما تقدم.

المهم أن أجد في نفسي ما يمكن أن اقدمه لهذه القناة، وما يمكن أن تقدمه بدورها لي .. أنا لا أخاف من أي شيء، كل ما يهمني أنني صاحبة رأي ومهنية في عملي، ولديّ رسالة في الحياة أعمل من خلال الإعلام على إيصالها .. أعيش مغامرة "العربية"، وأشعر أنني كالبهلوان الذي قفز عالياً ولا يزال معلقاً في السماء .. لكن معالم "العربية" بدأت تتضح شيئاً فشيئاً، واشعر أننا سنحقق الحلم في إظهار فضائية إخبارية عربية جديدة قادرة على المنافسة عالمياً.

* هل خطفك بريق النجومية إلى عالم كنت تحلمين به أم أنه يقيد حريتك؟

– أبداً لم يقيد حريتي .. فإذا كنت أشتهي تناول الآيس كريم أخرج واشتريه .. أنا أخرج إلى الشارع كأي إنسان آخر .. حتى أنني أخرج ببنطال "الجينز" ودون "ميك أب"، وأمارس حياتي بطبيعية .. على العكس، يسعدني أن يشير الناس إليّ ويقتربون مني لمصافحتي أو اتخاذ الصور التذكارية برفقتي .. أنا إنسانة عادية تسعدها الشهرة والنجومية، لكن المهم أن لا تحولك هذه النجومية إلى إنسان مغرور ومتكبر .. فمن تواضع إلى الله رفعه.

* هل الاختلاف في الخطوط الحمر بين فضائية واخرى يزيد من صعوبة العمل؟

– طبعا يزيد من صعوبته ومن اهميته ومن تأثيره ايضا، فهناك فرق بين قناة "أبو ظبي" على سبيل المثال، والكثير من القنوات العربية الحكومية الأخرى، فالأولى متميزة وفيها مساحة واسعة من الحرية .. وهذا الأمر ينطبق على "العربية" و"الجزيرة"، لكني أتحدث عن القنوات الحكومية هنا .. ما يميز قناة عن أخرى هو سقف الحرية، وسخاء القناة مادياً في تطوير نفسها وكادرها.

* كيف توفقين بين عملك غير محدد الوقت وبين منزلك وبناتك؟

– هذه القضية عانيت منها في البداية، لكن الان اصبحت اسهل، ففي البداية كن بناتي صغيرات، وكنت أشعر بتأنيب بتأنيب الضمير كوني أتركهم لفترات طويلة .. الآن كبرن قليلاً، وأصبح ما يهمهن هو كيف نقضي الوقت سوياً، وليس كم من الوقت نقضي سوياً .. كما أنني الآن أحصل على ثلاثة ايام في الأسبوع إجازة، وهذه فترة كافية لتلبية رغباتهن وقضاء وقت ممتع ومفيد معهن.

* اخيرا .. ألا تؤثر طبيعة الأخبار والمشاهد المؤلمة التي تعيشين معها يوميا في الاستديو على نفسيتك وطريقة تعاملك مع بناتك والمحيطين بك؟

– تؤثر عليّ كثيراً .. لكني أكون حريصة على أن لا تؤثر على تعاملي مع الاخرين .. عموماً أنا شديدة وسريعة التأثر، وكثير يقولون لي أن معالم التأثر تظهر بوضوح على وجهي، فمثلاً كان الحزن والاكتئاب بادياً على ملامحي يوم سقطت بغداد .. لقد هاجتمني الصحف الكويتية بسبب هذا الاكتئاب وتعبيري عنه في أكثر من لقاء صحافي .. لكني أقول أن الاكتئاب ليس مرده سقوط نظام صدام حسين، بل سقوط بغداد، وهناك فرق كبير .. بغداد سقطت في أيدي الاحتلال، وما حصل ليس "تحريراً"، كما يقال.

نساء وأخبار

إسرائيل تفرض الإقامة الجبرية على زوجة سعدات

رام الله: فرضت إسرائيل الإقامة الجبرية داخل الأراضي الفلسطينية، على زوجة المعتقل أحمد سعادات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والذي اعتقلته السلطات الإسرائيلية الأسبوع الماضي، بعد اقتحام سجن أريحا الذي كان معتقلا فيه لدى السلطة الفلسطينية. واكتشفت عبلة سعادات هذا الأمر عندما كانت متجهة إلى مطار بن غوريون في تل أبيب من اجل السفر إلى العاصمة اليابانية طوكيو، للمشاركة في دورات تدريبية تنظمها اليابان لإعداد الكوادر البشرية.

حيث تعمل سعادات مديرة للموارد البشرية في وزارة العمل الفلسطينية، إلا سلطات الأمن في المطار منعتها من صعود الطائرة، مما دفعا للاتصال بمحامي الذي أخبرها بعد اتصل بسلطات الأمن الإسرائيلية أنها ممنوعة من السفر كونها زوجة الأمين العام للجبهة الشعبية.

ومن الجدير ذكره أن وفاء يوسف زوجة الأسير عاهد أبو غلمة، الذي قامت إسرائيل باختطافه من سجن أريحا برفقة سعدات والشوبكي وبقية السجناء، تخضع هي الأخرى للإقامة الجبرية منذ فترة طويلة.

المرأة الوحيدة في حكومة "حماس" .. أم لـ ٧ وأستاذة لعلوم الحديث

غزة: ظهر اسم الدكتورة مريم صالح، النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني كامرأة وحيدة حملت منصب وزير في الحكومة الفلسطينية التي شكلتها حركة حماس برئاسة إسماعيل هنية. وتولت الدكتورة صالح ،وهي إحدى كادرات حركة حماس في مدينة رام الله وزارة شؤون المرأة خلفا لزهيرة كمال، حيث كانت قد انتخبت أخيرا في المجلس التشريعي على قائمة حماس وحملت الرقم ١٢ على مستوى قائمة الوطن.

وأكدت حركة حماس على أنها ستعمل على دعم النشطات النسوية وحماية حقوق المرأة، كما أظهر التيار النسائي في الحركة فعالية كبيرة خلال فترة الانتخابات، حيث فازت ٦ مرشحات في الانتخابات التشريعية التي جرت في الخامس والعشرين من يناير الماضي.

وتنحدر مريم محمود حسن صالح من مخيم دير عمار، وتعود في أصولها إلى قرية بيت نبالا قضاء اللد والرملة، ومتزوجة من المهندس الزراعي نظمي الطريفي وأمّ لسبعة أبناء. وتحمل شهادة الدوكتوراه في الشريعة الإسلامية من قسم الكتاب والسنة من جامعة أم القرى في مكة المكرمة في ١٩٩٣، كما وتحمل أيضاً شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية قسم الكتاب والسنّة من جامعة أم القرى مكة المكرمة في١٩٨٦ .

وتعمل الدكتورة مريم أستاذة الحديث وعلومه في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة القدس منذ ١٩٩٣ كما أنها أستاذة متطوّعة في معهد مريم البتول الشرعيّ التابع لجمعية الهدى النسائية.

وعلى الصعيد الاجتماعي قامت صالح بتأسيس جمعية الهدى النسائية في مدينة البيرة، بعد أنْ كانت لجنة تابعة للجمعية الخيرية الإسلامية في ١٩٩٦، حيث ترأست الجمعية من ١٩٩٧ إلى سنة ٢٠٠٠ وما زالت عضو هيئة عامة في الجمعية ولها العديد من النشاطات في الجمعية. وإلى جانب ذلك فإنّ الدكتورة مريم عضو الهيئة التأسيسية لجمعية خليل الرحمن في مدينة الخليل، وعضو الهيئة العامة في جمعية أصدقاء الكفيف بمدينة البيرة، وأيضاً عضو الهيئة العامة لجمعية الاتحاد النسائي العربي بالبيرة، وعضو اللجنة النسائية في جمعية بيت نبالا الخيرية برام الله.

الأسد يعين امرأة نائبة للرئيس

دمشق – عيّن الرئيس السوري بشار الأسد وزيرة الثقافة السابقة د. نجاح العطار نائبة له مفوضة بمتابعة تنفيذ السياسة الثقافية في إطار توجيهاته، وفقاً لنص القرار، وأدت العطار اليمين الدستورية أمام الأسد،

ويشار إلى أن العطار كانت وزيرة للثقافة لعدة مرات لأكثر من ٢٥ سنة، أيام الرئيس السابق حافظ الأسد طورت خلالها وزارة الثقافة وزادت من نشاطها، وعقدت صلات ممتازة مع المثقفين السوريين الذين يقدرون جهودها.

والعطار من مدينة دمشق، تحمل دكتوراه في الأدب العربي، وتتقن الإنكليزية والفرنسية، وهي أخت عصام العطار المرشد السابق للإخوان المسلمين في سوريا الذي يعيش الآن في ألمانيا، ويمكن تصنيفها سياسياً في إطار التيار القومي الديمقراطي.وتنتمي الدكتورة نجاح العطار إلى بيت علم عريق وكان والدها شاعرا ومن رجال القضاء والثقافة. وشاركت منذ أيام الدراسة في النضال ضد الاحتلال في الوطن العربي وانتصارا لقضية فلسطين.

تابعت الدكتورة العطار دراستها في بريطانيا مع زوجها د. ماجد العظمة، وحصلت على دبلوم الدراسات الإسلامية عام ١٩٥٦ ثم الدكتوراه في عام ١٩٥٨ في الأدب، كما حصلت على عدد من الشهادات بعد ذلك في العلاقات الدولية وفي النقد الأدبي والنقد الفني.

وأحدثت العطار نقلة نوعية في عمل وزارة الثقافة وتغييرا جذريا في بناها ومؤسساتها واتساعا في ميادين عملها، وحصلت العطار على العديد من الأوسمة التقديرية من دول ومؤسسات ثقافية عالمية.

صعيدي يجهض زوجته لأنها حامل ببنت !

القاهرة: أجهض شاب مصري من محافظة قنا بصعيد مصر، زوجته لأنها أخبرته أنها حامل في بنت! وكان الشاب الذي يعمل بقالا قد تزوج من فتاة تمت له بصلة قرابة منذ فترة قصيرة، وفي صباح أحد الأيام، قالت له إنها حامل وتريد الذهاب إلى الطبيب لمعرفة نوع الجنين، فأذن لها وهو يمني نفسه بأنه سيصبح أبا عما قريب، ولكن أمله خاب عندما عادت زوجته من عند الطبيب وأخبرته أنها حامل في بنت، فانهال عليها ضربا وطرحها أرضا على ظهرها وأخذ يقفز في وحشية على بطنها حتى سقط الجنين. وقد تم إخطار النيابة التي تولت التحقيق.

يشار إلى أن الصعيد من المناطق التي تحبذ الذكور على الإناث، ولكن ليس هذا معناه قتلهن، فهذه حالات فردية لا يمكن القياس عليها.

حقوق المرأة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

بقلم: عماد موسى

صدر عن مؤسسة فريديم هاوس كتاب بعنوان «حقوق المرأة في الشرق الأوسط وشمال افريقيا العام ٢٠٠٥، حيث يحتوي على قراءة للدراسة بعنوان «تحدي عدم المساواة لـ«ثمينة نذير» وعلى دراسة ثانية بعنوان «أثر السلوكيات العامة» لـ«براين كيتوليس» وعلى الجداول والرسوم البيانية وأخيراً التقارير القطرية التي تغطي ستة عشر دولة منها فلسطين.

تحدي عام للمساواة

توصلت الباحثة ثمينة نذير في دراستها الى انه: «ليس هناك قضية تفرض تحدياً أكبر مما تفرضه عدم المساواة التي تعاني منها مكانة المرأة، وتشير الى وجود «فجوة واسعة بين الجنسين في الحقوق والحريات» مع «وجود عجز جوهري في حقوق المرأة في كل دولة مع وجود امكانية انعكاس ذلك العجز بصورة عملية في كل مؤسسة من مؤسسات المجتمع: القانون ونظام العدالة الجنائية والاقتصاد والتعليم والرعاية الصحية ووسائل الإعلام. واستعرضت الباحثة نذير الفئات الخمسة لتحقيق المساواة للمرأة وهي: ١ – عدم التمييز وامكانية اللجوء للقضاء ٢ – استقلالية الفرد وأمنه وحريته ٣ – الحقوق الاقتصادية وتكافؤ الفرص ٤ – الحقوق السياسية والصوت المدني ٥ – الحقوق الاجتماعية والثقافية.

أما حول النتائج التي توصلت اليها الباحثة فتقول: «حددت الدراسات سلسلة معقدة من العقبات التي تحول دون استمتاع المرأة بكامل حقوقها الاجتماعية والسياسية والمدنية والقانونية».

وأضافت «لقد اهتم مؤلفو الدراسة اهتماماً خاصاً بالقضايا التالية: ١ – المنزلة الأدنى نتيجة للتسيير القانوني ٢ – التمييز في قوانين الجنسية والمواطنة ٣ – العنف المنزلي ٤ – الافتقار الى المعلومات: غياب الصوت ٥ – منزلة المرأة الأدنى في قوانين الأسرة ٦ – الافتقار الى آليات الشكوى ٧ – التعليم.

وتوصلت الباحثة الى بعض التوصيات وهي: «١ – ينبغي أن تتمتع المرأة بمنزلة مساوية للرجل بموجب القانون في جميع مناحي الحياة ٢ – ينبغي أن يتم تنقيح قوانين الأسرة لضمان المساواة في الحقوق بين الزوجين داخل نطاق الأسرة ٣ – ينبغي أن يتم النظر الى العنف المنزلي باعتباره جريمة خطيرة في جميع حالاته ٤ – ينبغي أن يتم ازالة العقبات القانونية والتقليدية التي تحول دون مشاركة المرأة في السياسة والحكومة والقطاع الخاص ٥ – ينبغي أن تزيد الحكومات من الإنفاق على التعليم وتكفل حصول المرأة على التعلم ٦ – أن تتخذ الحكومات خطوات ايجابية للقضاء على العقبات القانونية والاجتماعية التي تحول دون تحقيق المساواة الاقتصادية للمرأة ٧ – أن تتولى الحكومات ادخال الإصلاحات على مكانة العاملات المهاجرات واتخاذ الخطوات لضمان عدم وقوع العاملات في المنازل من المهاجرات ضحايا للاستغلال والتمييز ٨ – أن ترجع الحكومات جميع التشريعات وتعمل على القضاء على التقاليد الاجتماعية التي تتطلب من المرأة الحصول على موافقة الرجل من أجل تلقي العلاج الطبي لصحتها العامة او الإنجابية.

أثر السلوكيات العامة

يقول براين كتيوليس في دراسته (أثر السلوكيات العامة) من أجل تفهم الإطار المعقد الذي تدور فيه المجادلات، قامت مؤسسة فريديم هاوس بإجراء استطلاعات للرأي العام بهدف قياس السلوكيات العامة المتعلقة بالمرأة، فكان الأساس الذي استند اليه واضحاً ألا وهو التوجهات العامة التي تلعب دوراً حيوياً في تشكيل الفرص والتحديات المتعلقة بدعم حقوق المرأة. فالاستماع الى نماذج من الرأي العام سواء من النساء او الرجال يساعد مناصري قضايا المرأة في المنطقة من خلال توفير رؤية للأسلوب الذي ينظر به المجتمع بشرائحه العريضة الى التغيرات في أوضاع المرأة. كما تطرق الباحث كتيوليس الى المكاسب الحالية والفرص الجديدة المتعلقة بدعم حقوق المرأة وهي التعليم وزيادة حجم المشاركة على ساحة العمل. وأكد كتيوليس على وجود أربعة تحديات تعترض سبيل دعم حقوق المرأة وهي: التحدي الاول: محاربة الصورة النمطية والسلوكيات السلبية نحو المرأة والتي تفرع منها: التحيز ضد المرأة في المناصب القيادية والسلوكيات المتساهلة ازاء العنف ضد المرأة، والتحدي الثاني: تطبيق القوانين والإصلاحات، والتحدي الثالث: رفع درجة الوعي العام المتعلق بالحقوق والتحدي، والرابع: اكتشاف ردود الأفعال الرجعية ضد التغيير. وفي ختام دراسته قدم الباحث مقترحات «لتطوير استراتيجيات يساهم فيها المجتمع بأسره، ومن أبرزها: أن الإسلام له بالغ الأثر في الأسلوب الذي تتعامل الجماهير العامة مع المسائل المتعلقة بالتغيير في حياتهم ومجتمعهم، والثانية: أن الناس في الشرق الأوسط مستعدون للحوار حول كيفية دعم حقوق المرأة بالأسلوب الذي لا يتعارض مع القيم الأساسية.

التقارير القطرية

ضم الكتاب تقارير مفصلة عن أوضاع المرأة في ستة عشر قطراً عربياً شرق أوسطياً ومن الشمال الافريقي، حيث عالج قضية التمييز، اللجوء للقضاء والحقوق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتكافؤ الفرص والحرية الشخصية والأمن وهي: «الجزائر، البحرين، مصر، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب، عمان، فلسطين (السلطة الفلسطينية والأراضي المحتلة من قبل إسرائيل)، قطر، المملكة العربية السعودية، سورية، تونس، الإمارات العربية المتحدة، واليمن.

فلسطين وحقوق المرأة

جاءت الأولوية لإبراز أوضاع المرأة في فلسطين، نظراً لضيق المساحة الصحافية التي لم تسعفنا في تناول أوضاع المرأة وحقوقها في الأقطار الآنفة الذكر، ولأن المرأة الفلسطينية تعيش ظروفاً معقدة نتيجة الاحتلال وممارساته من جهة والواقع الاجتماعي والثقافي من جهة اخرى، فقد قدمت الباحثة سهير عزوني والمدير الأسبق لطاقم شؤون المرأة ورقة بعنوان فلسطين أبرزت فيها الجوانب التالية:

«١ – عدم التمييز وإمكانية اللجوء للقضاء، وبعد مناقشة هذه القضية توصلت الباحثة الى عدد من التوصيات وهي: «١ – أن تعطى المرأة الحق في منح الجنسية للأزواج والأطفال دون تمييز وضمان حصول المرأة المطلقة على النفقة ومعاقبة كل مرتكبي جرائم الشرف وتعيين مزيد من النساء في النظام القضائي.

٢ – الاستقلالية والأمن والحرية الشخصية، وتوصلت الباحثة في هذه القضية الى التوصيات: ضرورة منح المرأة حقوقاً كاملة ومتساوية، ورفع سن الزواج ليكون ١٨ عاماً للجنسين، وإلغاء القوانين التي تبقى على الوضع المدني للمرأة وحماية المرأة من كل أشكال العنف.

٣ – الحرية الاقتصادية وتكافؤ الفرص

٤ – الحقوق السياسية والصوت المدني، وفي هذا الإطار أوصت الباحثة بزيادة تمثيل المرأة بنسبة ٣٠٪ داخل المجلس التشريعي ودعم برامج التدريب على الحقوق السياسية بالنسبة للنساء في المؤسسات الحكومية

٥ – الحقوق الاجتماعية والثقافية وفي هذا السياق أوصت بما يلي: «يجب على السلطة زيادة حصة برامج المرأة الصحية من الميزانية وتقديم الخدمات الصحية الحديثة للمرأة وضمان حصول الأمهات على الرعاية الكافية قبل الولادة وبعدها».

نظرة عامة

تشير الدراسة الى انه «ما يزال التعزيز والحماية الكاملة لحقوق الإنسان أمراً مثالياً في جميع أنحاء العالم»، مع أن الأعوام الاخيرة «قد شهدت اهتماماً وتركيزاً خاصاً بحالة حماية حقوق الانسان الاساسية في دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا». الا ان «هناك احتياجاً غير مسبوق حالياً بتطوير وتنمية فهم شامل لتحديات التمتع الكامل بحقوق الإنسان للرجال والنساء في المنطقة». ومن الجدير بالذكر ان «المرأة تشكل نصف عدد سكان الشرق الاوسط وشمال افريقيا وعددهم ٣٢٥ مليون نسمة، ومع ذلك فإن النساء هن الأكثر تأثراً بالفقر ونقص الفرص المتساوية وإنكار الحقوق الديمقراطية». تعد هذه الدراسة من أهم الدراسات التي عالجت وضعية المرأة في ستة عشر دولة عبر استخدام استطلاعات الرأي وبناء الأسئلة على الحالة القانونية الواقعية في تلك الأقطار وعلى الممارسات العملية داخل المجتمع وعلى الأطراف الحكومية وغير الحكومية وعلى حالة جميع جماعات المرأة في الدولة وعدم التمييز وحقوق المرأة مقارنة بالرجال.

كما اعتمد الاستطلاع على قائمة لخمس أسئلة محورية وهي:

القسم الاول: عدم التمييز وامكانية الحصول على العدالة.
القسم الثاني: الحكم الذاتي والأمن وحرية الأشخاص.
القسم الثالث: الحقوق الاقتصادية وتساوي الفرص.
القسم الرابع: الحقوق السياسية والصوت المدني.
القسم الخامس: الحقوق الاجتماعية والثقافية.

وعلى هذه الأسس تم بناء الاستطلاعات والتي حددت النتائج المرجو التوصل اليها والتي يمكن أن تهتدي المراكز النسوية والحقوقية المختصة بهذا النموذج لتطوير آلية عملها من حيث النتائج التي يتم التوصل اليها، والكتاب جاء ثمرة جهد مضنية قام به الباحثون بدعم من مؤسسة فريدم هاوس صاحبة المشروع.

(الحلقة الثامنة)

وفقاً للمعايير الدولية وشرعة حقوق الإنسان

حقوق المرأة في مشروع قانون العقوبات الفلسطيني

المحامي علي أبو هلال

رابعاً: جريمة هتك عرض المرأة والفعل الفاضح المُخلّ بحيائها

تعرضت القوانين الجنائية في الدول العربية لجريمة هتك عرض المرأة وللأفعال الفاضحة المخلة بحيائها، واعتبرتها جرائم تستوجب العقاب، وذلك من أجل ضمان الحماية القانونية للمرأة في مواجهة هذه الجرائم التي تشكّل اعتداءات خطيرة تمس جسد المرأة وتلحق أضراراً مادية ومعنوية بها.

وتجريم هتك العرض بكافة صوره يستجيب للمعايير الدولية وينسجم مع الشرعة الدولية لحقوق الإنسان وكذلك مع الاتفاقات الدولية ذات الصلة، وخاصة اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو).

وقد تناول مشروع قانون العقوبات الفلسطيني جريمة هتك العرض والأفعال الفاضحة المخلة بالحياء على التوالي في المادتين (٢٦٣، ٢٦٤) ونصّت المادة ٣٦٢ على:

١. يقصد بهتك العرض تعمّد الجاني المساس بعورة من جسم المجني عليه، مما يخدش عاطفة الحياء عنده.

٢. كل من هتك عرض شخص باستعمال القوة معه، أو بتهديده أو بخداعه في ماهية الفعل، أو وهو فاقد الشعور أو الإدراك، أو وهو في حالة جسدية أو عقلية أو نفسية، تجعله عاجزاً عن المقاومة، أو كان المجني عليه لم يُتم خمس عشرة سنة من عمره، يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات.

٣. وتكون العقوبة السجن مدة لا تزيد على عشر سنوات، إذا كان الفاعل ممن نص عليهم في الفقرة الثالثة من المادة (٢٥٧).

٤. وإذا أرتُكب الفعل المشار إليه دون استعمال الوسائل المبينة في الفقرة (٢) أعلاه، وكان المجني عليه قد أتم خمس عشرة سنة من عمره، ولم يبلغ ثماني عشرة سنة كاملة، عوقب الفاعل بالسجن مدة لا تزيد على خمس سنوات.

كما نصّت المادة ٤٦٢ على:

١– يقصد بالفعل الفاضح المخل بالحياء كل عمل أو حركة أو اشارة من شأنها خدش شعور الغير حين يقع بصره عليه.

٢– كل من ارتكب فعلاً فاضحاً مخلاً بالحياء في مكان عام أو بصورة يمكن معها لمن كان في مكان عام أن يراه، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة مائتي دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين.

ونلاحظ من نص المادتين السالفة الذكر أن مشروع القانون قد عرّف جريمة هتك العرض بتعمد الجاني المساس بعورة من جسم المجني عليه مما يخدش عاطفة الحياء عنده، ولا ندري لماذا جاء التعريف بصيغة المذكر ولم يشمل أيضاً صيغة الثأنيث؟ كما فعلت بعض القوانين الجنائية الأخرى كالقانون المصري مثلاً، وكان من الأجدى أن يوسّع مشروع القانون تعريف هتك العرض، ليشمل أيضاً ملامسة الجاني لجسد المجني عليها أو جزء منه مما يعد من العورات مما يؤدي إلى الاخلال بحيائها، لأنها جميعاً تعتبر جرائم تقع دون المساس بجسد المجني عليها، كما أن المساس بجسد المجني عليها تقع قانونا أيضاً لتشمل كل أفعال الجاني التي تمتد إلى عورة المجني عليها ولو بالكشف عنها فقط، أي أن جريمة هتك العرض تقع حتى لو قام المتهم بالكشف عن جزء من جسد المجني عليها مما يعد عورة دون أن يلامسه أو إذا أرغم الجاني المجني عليها بالكشف عن عورتها أو التعري أمامه أو أمام مجموعة من الناس حتى لو لم يقم بملامسة أي جزء في جسدها، وبناءً على ذلك فإنه إذا قام زوج بممارسة العلاقة الجنسية مع زوجته رغماً عنها أمام شخص آخر فإنه يكون مرتكباً لجريمة هتك العرض، لانه بذلك قد كشف عن أجزاء من جسدها تعد عورة أمام شخص آخر، كما تتحقق جريمة هتك العرض بالممارسة الجنسية الشاذة غير الطبيعية، حتى لو مارس الزوج الجنس مع زوجته كرهاً عنها بصورة شاذة وغير طبيعية.

وقد اعتبر مشروع القانون أن جريمة هتك العرض تشكل جناية وقد جاءت في ثلاث صور على النحو التالي:

١– يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات من ارتكب جريمة هتك عرض المجني عليها باستخدام القوة والإكراه أو التهديد أو الخداع في ماهية الفعل، أو وهي فاقدة الشعور أو الإدراك، أو وهي في حالة جسدية أو عقلية أو نفسية، تجعلها عاجزة عن المقاومة، أو إذا كانت المجني عليها لم تتم خمس عشرة سنة من عمرها، يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات.

٢– تشديد العقوبة بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنوات، إذا كان الفاعل أحد أصول المجني عليها، أو من المتولين تربيتها أو ملاحظتها، او ممن لهم سلطة فعلية عليها، أو كان مستخدماً عندها أو عند أحد ممن تقدم ذكرهم.

٣– كما شدد مشروع القانون العقوبة على الجاني لتصل إلى السجن مدة لا تزيد على خمس سنوات، إذا كان المجني عليها قد أتمت خمس عشرة سنة من عمرها، ولم تبلغ ثماني عشرة سنة كاملة، حتى لو ارتكب الجاني جناية هتك العرض برضى المجني عليها وبموافقتها ودون استعمال الوسائل المبينة في الفقرة (٢) من المادة (٢٦٣) السابقة الذكر.

كما اعتبر مشروع القانون الفعل الفاضح المخل بالحياء جنحة يعاقب مرتكبها بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر وبغرامة مائتي دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين، ولكن اشترط المشرّع وقوع الجنحة في مكان عام، الأمر الذي لا يكفل الحماية الكافية للمرأة إذا وقع الفعل في مكان خاص، وهذا يشكل قصوراً ينبغي تفاديه لضمان الحماية الكاملة للمرأة سواء ارتكب الفعل الفاضح المخل بحيائها في مكان عام أو في مكان آخر، لأن الاعتداء على المرأة يكتسب صفة الانتهاك سواء وقع على مرأى الناس أو لا، وسواء وقع في مكان عام أوغيره، وذلك انسجاماً مع الشرعة الدولية لحقوق الإنسان والاتفاقيات ذات الصلة.

آراء

في يوم أُمنا الأرض

طلال عوكل

ثلاثون عاماً والشعب الفلسطيني بأسره موحد يحيي ذكرى يوم الارض في الثلاثين من مارس كل عام، والذي يصادف هذا اليوم.

قبل ذلك التاريخ في العام ١٩٧٦، الذي هب فيه أصحاب الارض من قرى الجليل والمثلث دفاعاً عن ارضهم، لم يكن الفلسطينيون قد أهملوا او نسوا ارضهم يوماً، فلقد ظلت الحلم الذي يعيشون من اجله، ومن اجله لا يبادلون ارضهم بأرض الله الواسعة، التي نصبوا فيها خيامهم الاولى وحطوا فيها الى حين رحالهم، وبقيت هي قبلتهم.

ربما كانت الصدفة وحدها التي ميزت شهر آذار الفلسطيني من بين شهور السنة، التي تعج بالاحزان والمجازر، والذكريات والمناسبات الأليمة، في هذا الشهر يحتفل العالم ونحن فيه بيوم المرأة العالمي، وبيوم الأم، ولكننا نتميز باحيائنا ايضاً ليوم الارض الذي لا مثيل له عند سكان الارض.

على طريقته يحتفل الشعب الفلسطيني بيوم المرأة العالمي، كيوم تاريخي يرمز الى وحدة نضال المرأة، وتطلعها لنيل المزيد من حقوقها وحرياتها، وعلى طريقته ايضاً يحتفل بعيد الأم كرمز للانتماء الانساني، والوفاء وكل الحب والخصب والعطاء، وبالمثل يحتفل بأمة الأرض التي تنتهك كل ساعة، وتتعرض للنهب والمصادرة.

من اجل أمنا الأرض نعيش ونموت، نحتفل ونتألم، نتذكر وننسى، تضحي الأمهات بالزوج والأخ والابن والبنت، وبنفسها تضحي، تتدافع الاجيال، يفنى البشر وتتجدد الحياة، وتظل الأرض تنتظر فرسانها الذين نطقوا بلغتها الاولى، وواصلوا تجذرهم فيها.

الاحتفال بيوم الارض في هذا العام له مذاق مختلف بالنسبة للفلسطينيين بعامة وللمرأة الفلسطينية بخاصة بما انها منذ القدم الأكثر التصاقاً وتشبثاً بالأرض. اذا كان للفلسطينيين ان يفاخروا العالم بالتجربة الديمقراطية التي أجروها تحت الاحتلال ورغماً عنه، ليؤكدوا اهليتهم وحقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم فان من حقهم ايضاً، ان يفاخروا بما حققته المرأة الفلسطينية عبر هذه الانتخابات من انجازات تؤكد دورها الرائد في النضال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، دوراً رائداً يقدم نموذجاً غير مسبوق قياساً بالمجتمعات العربية من حيث مستوى مشاركة المرأة في مستويات صنع القرار.

لقد حفرت المرأة في صخر الاحتلال، وصخور المانعات الاجتماعية والثقافية السائدة، التي تمجد السلطة الأبوية والذكورية، وكل منظومة القيم المحافظة لتؤكد ان من يسعى وراء تحرير الأرض، لا بد ان ينتزع حرية ارادته. لكأن العلاقة بين حرية المرأة كمؤشر لحرية المجتمع وبين حرية الأرض طردية، فكلما حققت المزيد من الانجازات كان المجتمع اقرب مسافة الى تحرير الأرض.

من المناسب اذاً ان تفكر المرأة في حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها ازاء تحرير الارض وتحقيق الاستقلال. وان يفكر نشطاء السياسة والثقافة والمجتمع ايضاً في مثل هذه المسؤولية.

ثمة تماثل شديد بين ما تتصف به المرأة، وما تتصف به الأرض.

الانجاز الذي حققته المرأة في الانتخابات وعلى صعيد الحياة السياسية والمجتمعية يحتاج الى التمكين والحماية والمراكمة، هذه الحاجة تفرض على الأطر النسوية والمراكز والجمعيات والاتحادات النسوية، كما على المهتمات والنشيطات، التفكير الجدي والمسؤول لامتلاك الادوات واشتقاق الآليات المناسبة التي تحمي الانجاز وتضاعفه.

وسواء على المستوى الفردي او الجماعي فان عناوين الانجاز تتحمل مسؤولية كبيرة وخاصة ازاء تقديم النموذج، الذي يقنع المجتمع بجدارة الاستحقاق ويطلق الارادة والرغبة في توسيع الطريق امام المزيد من مشاركة المرأة في مختلف جوانب الحياة الفلسطينية وعلى مختلف مستويات القرار والفعل.

وكما ان الأرض الفلسطينية التي يغتصبها المحتل، هي ارض عربية فان الانجاز الذي حققته المرأة الفلسطينية يحفزها للقيام بمسؤولياتها ازاء استنهاض واقع المرأة العربية التي تئن تحت وطأة التخلف والجهل والتهميش والقمع والاضطهاد المركب التمييزي طبقياً واجتماعياً.

تحرير الارض الفلسطينية مسألة فلسطينية عربية، وانسانية وفوق هذه المساحة كلها ينبغي للفلسطيني ان يتحرك، وان يؤكد اهليته لاستعادة ارضه وانسانيته، وان يشحذ كل ذخيرته وخصائصه الايجابية، وقدرته على الابداع لانتزاع الاقنعة الزائفة التي حاكها الاحتلال حول ارضنا، بل أُمنا الأرض التي تكف الامهات في سن معينة عن الانجاب لكنها وحدها لا تكف عن انجاب المخلصين لها والاوفياء لتاريخها العربي.

حتى يكون احتفالنا بيوم المرأة مجدياً؟!

مصطفى بشارات

شارك أبناء شعبنا في الثامن من آذار الشهر المنصرم باقي شعوب العالم احتفالاتهم بيوم المرأة العالمي، وكان عدد الفعاليات التي أقيمت بالمناسبة، وحجم المشاركين فيها مُرضياً؛ بالقياس مع الدور الذي تلعبه المرأة في مجتمعنا الفلسطيني: ابتداءً من البيت، حيث تقوم بتنشئة الأطفال، وانتهاءً بأي عمل آخر تقوم به الى جانب شريكها الرجل.

وفي خضم متابعتي لهذه الفعاليات، وجدت أنها؛ إما نظرية تركز على اقامة ورش عمل تتصدى لعملية التثقيف في قضايا الجندر وغيرها؛ أو سياسية تبرز حجم اوضاعنا المأساوية بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلي وممارساته، ولا أرى بدا في الحالة الأولى من المضي قدما في ممارسة الدور الدعاوي والتثقيفي من أجل تعزيز مكانة المرأة الفلسطينية وتطوير دورها، ولا أعتقد، في الحالة الثانية، أن بامكان أحد تجاهل الدور المدمر الذي تلعبه قوة الاحتلال في اعاقة عملية التنمية الفلسطينية، سواء بالنسبة للمرأة خصوصا، أو الانسان الفلسطيني بوجه عام.

ما لفت انتباهي أن القضايا التي تتصل بتفاصيل معاناة وهموم المرأة الفلسطينية في مختلف مفاصل الحياة غابت؛ أو تكاد؛ فلم يتم التنويه لها؛ أو إبرازها خلال هذه النشاطات؛ فهناك النساء في الريف اللواتي يشاركن أزواجهن في الحقل، وفي تربية الماشية؛ بينما الآن أتى الجدار العنصري على تلك المساحات الخضراء؛ بحيث لم يعد ممكنا استخدامها للزراعة أو الرعي؛ أو على الأقل؛ تضاءلت هذه الفرص، وأصبحت الأسر التي تعتاش من هكذا أعمال، وهي كبيرة في مجتمعنا الفلسطيني، تعاني أوضاعا اقتصادية صعبة.. بتعبير آخر لم نشهد في تلك الاحتفالات بيوم المرأة العالمي اعلانا عن مشروع في هذه المحافظة الفلسطينية؛ أو تلك، لدعم المشاريع النسوية الصغيرة، على سبيل المثال لا الحصر.

لقد تصرفت المراكز، أو الجمعيات النسوية، كباقي مؤسساتنا الأخرى؛ فبدل أن يهتف المشاركون في المسيرة التي انطلقت من دوار المنارة برام الله بشعارات تطالب بالخبز وحياة كريمة لزوجات وأبناء الشهداء والأسرى والجرحى والمعتقلين؛ انصب جام غضبهم على الاحتلال.. وكما قلت سالفا، فاننا نعرف أن هذا الأخير هو أساس كل البلاوي التي نعيش؛ لكن، هناك نساء وأسر وعوائل أصبح أبناؤها يعيشون تحت خط الفقر كضريبة لقولهم (لا) لهذه القوة المحتلة؛ ولمقاومتهم لها، وعليه يجب ألا تكون مكافأتهم منا، تركهم وحيدين يعانون مشاكل عدم وجود منازل بعد هدم منازلهم، أو الدخول في بطالة قاتلة اثر فقدان العمل في أرضهم التي صادرتها القوات الاسرائيلية.. الخ من أشكال المعاناة هذه.

هناك معاناة حقيقية تواجهها المرأة الفلسطينية، عندما تكون زوجة شهيد؛ أو أسير؛ أو معاق؛ أو جريح، وكذلك بالنسبة لأمهات أو أخوات أو بنات كل هؤلاء، كما تعاني جميع النساء السابقات نفس المعاناة اذا كان الأمر يتعلق بقريب لهن تعتبره قوات الاحتلال مطلوبا لها؛ أو كن أنفسهن معتقلات أو مطاردات أو معاقات بعد اصابتهن على أيدي هذه القوات.. القضية المذكورة قضية سابقة، وحالية، ومستقبلية؛ علينا كفلسطينيين في مختلف مواقعنا ومراكز عملنا، رسميين كنا أم أهليين، مجتمعين؛ أم فرادى، علينا ايجاد حلول لها، وعلى المؤسسات التي تنشط في مجال الدفاع عن حقوق المرأة أن تكون في مقدمة من يتصدون لهذه المشكلة.. عندها، بالتأكيد، سترى النساء الفلسطينيات معنى آخر للاحتفالات التي تقام بمناسبة يوم المرأة العالمي، وكما يقولون «خطوة عملية واحدة؛ أفضل من ألف برنامج» ٠

الحركة النسوية الفلسطينية

لمصلحة مَن شطبت إنجازاتها ؟

بقلم : رندة هلال

طالعتنا في الأيام الأخيرة بعض النداءات بأن «المنظمات الأهلية النسوية لم تستطع توطين الشعارات العالمية!!!»

مروّجو هذا الشعار يحاولون تحميل المنظمات الأهلية النسوية هزيمة البرامج الديمقراطية والبرامج المساندة للمرأة في الانتخابات، لكن عفواً، هل كانت النتيجة هزيمة للمنظمات الأهلية؟ أم هزيمة للأحزاب وبعدها عن الجماهير؟ ام كانت انتصاراً لمقولة الاقتصاد اساس السياسة؟ نعم لم تعطِ النساء اصواتها للمرشحات النساء، كما انها لم تصوت للبرامج الديمقراطية، ولم تصوت للبرامج الاجتماعية، الا انها صوتت ضد الفساد ومن اجل رغيف الخبز والأمان، ولم يعد يهم تلك الجماهير الجانب السياسي المغلق منذ فترة ولم تعط اولوية للبرامج الاجتماعية وان كان هذا لايعني تنازلها عنها بل هي حددت اولوياتها المرحلية. ولكن هل هذا يلغي عمل المنظمات الأهلية والنسوية، او يهمش دورها وإنجازاتها؟ أليست تلك نظرة احادية الجانب وغير دقيقة؟ ألم تنجح مؤسسات المجتمع المدني (ومنها المنظمات الأهلية والنسوية والأحزاب السياسية) بعمل لوبي قوي استطاع تغيير النظام الانتخابي باتجاه النظام الحالي والذي سمح بالتعددية وبمضاعفة أعداد النساء اللاتي وصلن الى مواقع صنع القرار (حتى شكلت المرأة ٣١٪ من اعضاء التشريعي ووصلت ما يفوق الـ ٥٠٠ امرأة للمجالس المحلية) الا يعتبر ذلك مساهمة كبيرة، ألم تنجح هذه المنظمات في تشكيل التكتلات الضاغطة والتي ساهمت في تغيير العديد من القوانين لصالح المرأة؟

رافعات هذا الشعار يدرين ان كثيرا من القائمات على هذه المنظمات كن قيادات نسوية عملن في الميدان بين النساء في الأطر النسوية عندما كان للأطر النسوية امتدادها الجماهيري في الكثير من المواقع (في السبعينيات و الثمانينيات وفي الانتفاضة الأولى)، واستطعن خط الكثير من التجارب التنموية (والتي للأسف لم توثق) من الممكن ان يتعلم منها الكثير من الحركات النسوية والمنظمات التنموية في العديد من دول العالم، هؤلاء القيادات استطعن جمع النسوة حولهن دون استعمال الشعارات العالمية وذلك قبل ذهابهن للمؤتمرات العالمية وحفظ الشعارات وترديدها. إن المثير للجدل هو ان في ذلك الزمان نفس الشخوص ذكرت ان الأزمة هي «اشكالية تبعية الأطر النسوية للأحزاب السياسية» ما أدى الى تفكيكها وإضعافها وابتعادها عن الجماهير باتجاه المأسسة.

هاتان المقولتان اعتمدتا على نفس طريقة التحليل والتي هدفت لإلغاء الإنجازات السابقة وتدميرها بدل تعزيزها، فأية مراجعة لواقع المراحل والأدوات المختلفة باتجاه دراستها لاستخلاص العبر يجب ان ينطلق من دراسة الإيجابيات والسلبيات، وبالتالي تعزيز الإيجابي والتعامل مع السلبي باتجاه رسم الاستراتيجيات القادمة.

إن ترويج هذه الأفكار والشعارات وطرحها عبر المؤتمرات والمقالات من الممكن ان يؤدي الى هدم ما هو قائم، وبناء منظمات جديدة ذات طابع مختلف على أنقاض المؤسسات والمنظمات الجماهيرية والأهلية النسوية التي بنيت عبر العقود. وهذا أمر خطير ويجب تداركه قبل فوات الأوان.

فالمشكلة الاساسية والتي يتفق الكثيرون حولها هي بعد الأحزاب والأطر الجماهيرية عن الجماهير والركض باتجاه تحليلات منقوصة لبناء شيء على انقاض الآخر. وتحول الأطر الجماهيرية الى منظمات اهلية لا تعمل الا بوجود تمويل لمشروع محدد، وبالتالي غياب الاستمرارية في العمل بين الجماهير.

وهنا أود أن أؤكد أهمية مراجعة الأطر الجماهيرية لعملها والعودة لامتدادها الجماهيري وعملها التطوعي، كما أؤكد اهمية مراجعة المنظمات الأهلية لدورها كأجهزة تقنية تعزز وتعمل مع القوى الديمقراطية والمجتمعية باتجاه الضغط والمناصرة لتعزيز انجازات المرأة والحفاظ عليها، ولتزويد المنظمات الجماهيرية بالخدمات النوعية التقنية.

لذلك اضم صوتي لصوت جميع من نادى بتشكيل هيئة نسوية عليا او مجلس نسوي اعلى تضم في جنباتها المنظمات الأهلية المتنوعة والاطر الجماهيرية، هيئة عليا تضع نصب اعينها الدفاع عن مكتسبات المرأة وتعزيزها وتستند إلى البُعد الجماهيري للأطر وتعززه وتستند إلى القدرة التقنية للمنظمات الأهلية وقدرتها على التكتل والتمثيل لحقوق المرأة، هيئة موحدة ترسم استراتيجيتها للاستفادة من إيجابيات المنظمات النسوية القائمة والبناء فوقها وتعزيزها لا هدمها، هيئة تعمل على تكتيل جهودها وتوجيهها لمضاعفة امكانياتها لا تفتيتها وإضعافها. هيئة تجمع الجميع ويجمعها العمل معاً (لا الحديث فقط) ضمن استراتيجيات وبرامج تنموية ونسوية واضحة للحفاظ على مكتسبات المرأة وتعزيزها.

ونتيجة لأهمية ما يجري أرى ضرورة الإسراع في عقد مؤتمر على غرار ما جرى في غزة لاستكمال خطواته والسعي الى توضيح مهام ومسؤوليات الهيئة العليا أو المجلس الأعلى، ويؤدي هذا المؤتمر الى انبثاق لجنة تحضيرية لتلك الهيئة ٠

«أرض النساء» فيلم يمثل تراجيديا الحياة الفلسطينية

وكفاح عفيفي روح الفلسطينيين المعذبة

رام الله ـ زلفى شحرور

كفاح عفيفي، سميحة خليل، فدوى طوقان، بطلات الفيلم الوثائقي «أرض النساء» للمخرج اللبناني جان شمعون، الذي نسج لفيلمه دراما قائمة على ربط نضال نساء فلسطين المطلبي والعسكري والثقافي على مدار تاريخ الثورة الفلسطينية من بداية القرن الماضي من خلال حكاية كفاح التي اعتقلت في سجن الخيام عام ١٩٨٨ بتهمة محاولة القيام بعملية عسكرية داخل فلسطين.

«أرض النساء» كان فيلم الافتتاح لمهرجان «نساء رائدات» الذي نظمه مسرح وسينما القصبة في رام الله في التاسع من شهر اذار، وهو المهرجان الذي اعتاد المسرح تنظيمه كل عام بمناسبة يوم المرأة العالمي وعيد الأم، وحمل هذا العام ملامح جديدة، حيث تجول اعماله مختلف المدن الفلسطينية، للمساهمة في نشر ثقافة سينمائية في الأراضي الفلسطينية مثلما يرى مدير عام المسرح الفلسطيني جورج إبراهيم.

وضم المهرجان افلاما نقلت حكايا النساء المهمشات والرموز الرائدات التي كسرت الحواجز المجتمعية المختلفة، وانطلقت لتؤثر في حياة مجتمعها مثل «سيدة القصر» الذي يحكي تجربة نظيرة جنبلاط، وفيلم «دردشة نسائية» الذي حاول استكشاف اهم الأفكار والاتجاهات داخل الحركة النسائية المصرية خلال القرن العشرين، إضافة الى فيلم «فاما.. بطولة بلا مجد» التي كرست نفسها من اجل تحرير المغرب، وعلى خطى النسيان «ودموع الشيخات» والمرأة الشجاعة «وحكاية الراي ... من الشيخة ريميتي إلي الشابة جنات».

جمهور الافتتاح اعتبر فيلم «ارض النساء» قاسياً جداً، وهو من كان يأمل بفيلم مرح وهادئ هربا من شروط الحياة القاسية والقلقة التي يعيشها الشعب الفلسطيني الذي يفتقد الى اليقين في حياته، املا في ان يجد في رحابة الفن ما يخفف عنه، ليجد نفسه يغرق في احزان جديدة، والتي يبدو أنها قدر دائم لحياة الفلسطيني لا مفر منه، هذا القدر الذي تحول الى تراجيديا تنهل منها الحياة الثقافية العربية، ويظل الفلسطيني اسيرها في حياته وفي مهرجاناته وفنونه.

وعلى الرغم من قسوة الفيلم الذي نقل لنا شروط وظروف الاعتقال التي عاشتها كفاح في سجن الخيام في الجنوب اللبناني، الا ان روحها العامرة بالحياة والفرح وخفة دمها، خففت من هذه القسوة وسحبت الضحكة من الجمهور، الذي وجد انه تماهى معها في همها، إضافة الى انتقال المخرج بنا الى الطبيعة مرات كثيرة للتخفيف من قسوة المشاهد من جهة وتسليط الضوء على نمط الحياة والمكان الذي ناضلت من أجله كفاح وناضل مثلها الشعب الفلسطيني للوصول إليها، للعيش في ارض رحبة خضراء وممتدة، فيها امل وحياة ومستقبل.

الفيلم الذي انتقل بين بيروت والجنوب ونابلس ورام الله في مشاهده الكثيرة وربطه البسيط لهذه المشاهد عبر كفاح التي كانت معجبة بسميحة خليل ولم تصدق عينيها حين التقتها في بكين، الى عشقها لفدوى طوقان التي لم تتمكن من كسر قيودها والانطلاق والتحرر الا مع وفاة والدها الذي طالبها بكتابة الشعر السياسي بعد وفاة اخيها إبراهيم طوقان لتكون امتداداً له، لكنها لم تكتبه الا بعد موته، بعد فك قيودها وعزلتها التي فرضها الوالد لتعيش حبيسة جدران بيتها.

سلط الفيلم من خلال هذا الربط الضوء على حياة المناضلة سميحة خليل، الملتصقة بالعمل الوطني منذ كانت في الثانية عشرة من عمرها، من خلال انخراطها في تظاهرات العام ١٩٣٦ وحتى تاريخ وفاتها، مرورا بدورها الاجتماعي والسياسي من خلال جمعية إنعاش الأسرة التي أسستها، الى ترشيحها لمنصب الرئاسة في العام ١٩٩٦.

تعرض الفيلم لحياة فدوى طوقان وضم مشاهد في منتهى الروعة والجمال، ونحن نشهد طوقان تقرأ شعرا عن عذابات الفلسطينيين على الجسر الذي يربط الحدود الفلسطينية الاردنية، وكفاح تقف تنظر في الأفق علها تلمح ما يشير إلى مكان قريتها «الياجور» في الجليل الفلسطيني، التي هدمها جيش الاحتلال الإسرائيلي، وبنى مكانها مستوطنات إسرائيلية، وهي تأمل بمثل هذا العبور رغم قسوته وعذاباته.

كيف لا ترغب بمثل هذا العبور وهي من كانت على استعداد لدفع حياتها ثمناً له لتطأ قدماها ارض فلسطين التي رأتها في احلامها وامانيها، وتصف لنا مشاعر الفرح والتوتر التي انتابتها، وهي ترفض ان يتم التحقيق معها قبل نقلها إلى داخل فلسطين التي رغبت بأن تدخلها بأية طريقة، وأية سعادة عاشتها وانتشت معها روحها المعذبة، عندما ابلغها جندي الاحتلال بأنها فوق ارض فلسطين رغم كل الإهانة والقسوة في تعامل جنود الاحتلال معها، الذين رفضوا السماح لها بأن تشرب من مائها.

مشاهد الفيلم التي انتقلت بنا بين غرف سجن «الخيام» التي مرت عليها كفاح ومن خلال هذا المرور التقينا رفيقاتها في المعتقل، سلط الضوء على المعاناة التي عاشتها المعتقلات في هذا السجن بصمت ووحدة، وبعيدا عن أعين العالم، حتى فقدن الثقة والقدرة على التفكير في المستقبل، وتحولت حياتهن الى اختراعات صغيرة للتغلب على قسوة السجن، والاتصال بالعالم الخارجي والحياة بأبسط الاشكال.

تابعن نمو شجرة التين التي تقابل نافذة السجن وحولن منديلا أسود «غطاء الرأس» إلى لوح، يبعثن برسائلهن الى رفاقهن المعتقلين، ومن خلاله بحثن عن الحب الذي ربما كان يعينهن على قسوة هذه الحياة والرغبة في الاستمرار بحثاً عن الامل حتى لو كان وهماً، من خلال عبارة حب في الزنزانة إشارة الى الفيلم العربي المعروف لسعاد حسني وعادل أمام، وتتابع كفاح بروح النكتة «لكننا لم نتزوج ايا منهم بعد خروجنا»، ولم يفقدن أنوثتهن واستخدمن المنديل الأسود من جديد لتحويل لوح الزجاج على النافذة إلى مرآة يصففن شعرهن أمامها.

هذه الغرف الباردة المظلمة، افقدت كفاح ومن معها أي امل بالخلاص من هذا العالم، حتى انها اعتقدت عندما أُخلي سبيلها أنها ذاهبة للإعدام، ولم تصدق عينيها وهي ترى البشر من شيوخ واطفال ونساء يتحركون في الشارع، فشعرت كأنما هي تأتي من عالم سحيق عاشت فيه كابوسا لن تخرج منه طوال حياتها.

بطلة الفيلم تقول لنا من خلال حكايتها ان حياة المناضلين من شعبها اقوى من كل الزنازين، ومن كل القيود، فها هي تعود للحياة رغم الألم الذي تعتصره في داخلها، وظهر قويا في تفاصيل وقسمات وجهها، التي تنفرج وتتسع حدقات عينيها وهي تتذكر مشهدا إنسانياً أعانها على حياتها في السجن، وكيف كانت تحول نفسها الى مهرج من اجل ادخال البهجة في نفس رفيقتها التي لم تتقبل اعتقالها، لأنها لم ترتكب ذنباً تستحق عليه السجن، ويكتسي الحزن والالم قسماتها وهي تتذكر عذاباتها ووجه جلاديها.

صاحبة هذه التجربة القاسية، تصر على الاستمرار في الحياة، تتزوج من جارها المعتقل في سجن «الخيام»، بعد خروجه من السجن، وتنجب بنتاً وصبياً، تبني أسرة من جديد، ولا تزال الابتسامة والرغبة في الوصول الى فلسطين تعتلي وجهها وهي تمازح زوجها تحت شجرة في المكان الذي نفذت فيه عمليتها العسكرية وتشاء الصدفة أو القدر أن تكون ذات المنطقة التي نفذ بها زوجها عمليته العسكرية، وتقول له، كلما زرت أمك للاطمئنان عليها كانت تقول لي «يجعله من نصيبك» فأقول في سري «ان شاء الله بس كيف بدو يتزوجني وانا سمراء وهو اشقر وعيونه زرق».

الفيلم لم يسلط الضوء على هذه النماذج الايجابية فقط بل سلطه أيضا على نماذج بسيطة وصامتة تعاني دون ان يسمعها احد، مثل ام كفاح التي فقدت ثلاثة من أبنائها، في معارك الفلسطينيين في لبنان للدفاع عن وجودهم، في مجازر صبرا وشاتيلا، حتى انها اضطرت واختها لإخراج جثة اخيها من قبره المشترك مع ابن خاله، لا لشيء إلا من اجل راحة أمها التي كانت تأمل بأن تزور ابنها في قبره، فهي تبحث له عن مكان خاص به حتى في قبره، لأنها لم تتحقق من وفاة ابنها عثمان الذي بحثت عنه بين ٨٩ جثة اضطرت الى التدقيق فيها للتعرف على جثة ابنها التي اشتبهت بها، لكنها حتى اللحظة غير واثقة من أنها جثة ابنها.

وسط هذا السواد وهذا البؤس الذي عبرت عنه ازقة المخيم ومنظر بيوتها، ومشاهد مجازر صبرا وشاتيلا التي روت لنا بطلة الفيلم كيف تمكنت من الهروب منها وفيها فقدت شقيقها، هناك دائما بصيص أمل، انه التضامن الانساني الذي يستشعره الفلسطينيون من خلال الاف المتضامنين، وعبر عنه المصور الياباني الذي كان اول الواصلين الى المخيم بعد مجازر صبرا وشاتيلا.

هذا المصور التقى بكفاح من خلال علاقته بعائلتها وهو يبحث عن فتيات نشيطات في المخيم، وكانت اختها ميرفت واحدة منهن، والتقى بكفاح التي كانت تناكفة دون ان تعلم انه خشبة نجاتها وخلاصها. والدة كفاح ارسلت له رسالة تطلب معونته لمعرفة مصير ابنتها التي اختفت، فما كان منه الا أن رفع قضية أمام القضاء الأسرائيلي الذي اطلق سراحها قبل بدء المحكمة، وعاد لزيارتها ولكن هذه المرة معه صور لقريتها «ياجور» التي لم يعد فيها ما يدل على ساكنيها سوى بعض الصبر وشجرة زرعها أهل القرية الذين هجروا منها الى مخيم جنين وزرعوها بعد اول زيارة لهم لقريتهم بعد حرب ١٩٦٧.

كفاح هي نموذج نسوي فلسطيني يضج بالحياة، تبعث الأمل والرغبة في الحياة لكل المحيطين بها، روح النكتة تسبقها، لكنْ، في داخلها حزن دفين وغصة في الحلق، لا تستطيع رغم مرور السنين التخلص منهما، وكيف تتخلص من هذا الكابوس الذي ما زال يسكنها، ويسيطر على روحها المتعبة التواقة للحياة، وهي تتمنى العودة للحياة في الغرفة التي عاشت فيها سنوات سجنها، والتي لن تهدأ على ما يبدو إلا بعودتها لوطنها، فمتى تهدأ هذه الروح لتهدأ معها روح الفلسطينيين جميعاً؟!

تعزية

يتقدم طاقم شؤون المرأة ممثلا بهيئتيه العامة والإدارية ومديرته العامة وموظفاته

بأصدق مشاعر العزاء والمواساة من السيدتين عصام عبد الهادي وفيحاء عبد الهادي وجميع الأسرة لرحيل المرحوم فيصل عبد الهادي آملين لهم الصبر وحسن العزاء مقدرين العطاء الدام لهذه الأسرة الكريمة.

طاقم شؤون المرأة

"العنوسة"

عائشة عودة

في مقال للسيد أحمد القاسم في جريدة (اتجاه) العدد ٢ بتاريخ ٢٠٠٦/١/٨، تناول موضوع "العنوسة" في المجتمعات العربية وخاصة في المجتمع الفلسطيني.

وفي الوقت الذي اختفى فيه مفهوم العنوسة من المجتمعات العالمية، فإنه ما زال متداولاً عندنا، رغم تراجعه المضطرد مع تعلم المرأة وخروجها للعمل ومشاركتها في النضال واكتسابها المزيد من الحرية، الا ان ذلك لا يمنع البعض من تناوله من باب الشفقة على الفتاة العانس مقترحاً حلولاً مثيرة للشفقة، كونها تسحبنا الى الخلف كثيراً وتخرجنا من حركة التطور، مثل اقتراح تعدد الزوجات، وكأن الذين يطرحون مثل هذا الحل التعيس غائبون عن التشريعات القائمة في بلادنا وهي السماح بتعدد الزوجات ونسوا ان تراجع ظاهرة تعدد الزوجات في بلادنا لا يرجع الى التشريع وانما يرجع الى تطور المفاهيم حول الزواج من حيث انه مطلب لاستكمال السعادة الشخصية التي تتوج بدورها في تكوين الأسرة. كما ان التغير على أدوار كل من الذكور والإناث في المجتمع في حراك مستمر. وباقتراحات العودة لتعدد الزوجات انما هي اقتراحات للتراجع عن تطور المفاهيم التي تراكمها الأجيال!

ان العنوسة تركزت في المجتمعات السابقة على المجتمعات المدنية. فالفتاة التي لم تتزوج في هذه المجتمعات رغم مرور عدد من السنوات بعد بلوغها توصف بالعانس. هذه اللفظة تقشعر لها الأبدان في هذه المجتمعات، ذلك انها تتحدث عن انسان فقد قيمته وضرورة وجوده وهو عالة على غيره وفاقد لحريته ويعيش الحرمان من حقوقه العاطفية والطبيعية، وتصبح الفتاة العانس كأنها عار ومسبّة وأمر مرعب انسانياً، وهو في الواقع كذلك، ومن الطبيعي أن تخشاه كل فتاة وترتعب من الوقوع في جحيمه! كما يخافه الاهل من وقوع ابنتهم في لعنته!

وكما نرى ان العنوسة هي مفهوم خاص بمجتمعات ضعيفة التطور، تنصب من مفاهيمها شباكاً لأفرادها ولنفسها، فتقع في تلك الشباك ولا تعرف كيف تتحرر منها فتبقى تدور فيها كما يدور السجين في ساحة سجنه الضيقة. فالعنوسة إذاً، هي سمة لعقلية مجتمع، تنتج عنوسة تلبسها للنساء في ذلك المجتمع. ما الذي تغير إذاً؟

ان التغيرات كثيرة وهي تغيرات تتراكم وتؤدي بالضرورة الى تغير في المفاهيم. فالمجتمعات آخذة في الاعتماد على العلم والتكنولوجيا ما يتطلب من جميع افراد المجتمع التوجه الى المدارس واكتساب العلوم والمعارف، ومشاركة الفتاة بشكل جدي في اكتساب العلم والمعرفة والمهارات التي بدورها تطور نظرتها لنفسها ولدورها في المجتمع والحياة، وتساهم بما تكتسبه من علم في العملية الانتاجية والتنموية وتكتسب المزيد من الحريات وتتحرر من الاعتماد على غيرها في كسب عيشها وتستمد قيمتها في المجتمع من خلال عملها. فنجدها تساهم في مختلف الميادين وأصبحت مرجعية في عملها في كثير من الاحيان، وأصبح بالإمكان الاستقلال في بيت خاص بها، وأصبح الزواج بالنسبة لها هو بحث عن السعادة وليس هروباً من العنوسة. لذا فهي قد ترفض العديد ممن يدقون الباب طلباً ليدها، مثل هذه الفتاة لا يمكن النظر اليها على انها عانس، ذلك انها سيدة نفسها وتعيش خياراتها وتعاظم قيمتها من خلال مساهمتها في تنمية مجتمعها وتطويره، وهي بالتالي لم تعد عالة على أسرتها، بل على العكس! مساهمة في حياة الأسرة، وأحياناً تكون الأسرة عالة عليها!

وليست محكومة بالمثل المغالي في قسوته حين كان يتلفظ به بعض الآباء «بنتي ما بتخرج من البيت إلا في حالتين: الخروج الى بيت زوجها او الخروج الى القبر!».

حواء في عالمها الأخير

سونيا مناصرة

حالما انبجست من رماد أوراقها، ارتدت القمر إزاراً، وكانت الشمس ذلك الحالم الذي طوقها بآلاف الرصاصات، لم تقتل، ولكن كانت تحيا مع كل حمراء ترشفها، لقد أورثتها الداء والميناء، وأعدمت بحبال الدنيا صهيل أنّاتها، منذ زمن لم تكتب حرفا واحدا في السعادة، وها هي اليوم تضع في جيدها وسام السيادة، وتأمرها ان تتسلق السماء بهمة علياء ودون أدنى استياء، حيث تترامى أحجار الياقوت معلنة بهطولها بريق لوحة غنائية عجز دافنشي عن إمضائها.

بكل تواضع تعزي «العشاء الأخير» و«الموناليزا» لأنهما ما أدركاها في خشوعها الطويل، والأزهار تفتن من حسناء الفتن وبهراء القمم، وتستنشق عطورها بشهوات العالم، ولآدم حكاية أخرى معها، فهو رفع ونصب وجر، وضم وفتح وكسر وفي النهاية سكون بلا حدود.

«الوجه المسروق»

العمر العشرون في أفغانستان

مها التميمي

اسم المؤلف: لطيفة بالاشتراك مع شكيبة هاشمي
المترجم : إسماعيل حلمي
الناشر : المدى /٢٠٠١

«آمل بأن يكون هذا الكتاب مفتاحاً للنساء الاخريات، اولئك اللواتي أخفين شهادتهن في القلوب والذاكرة، اهديه لكل البنات والنساء الافغانيات اللواتي حافظن على كرامتهن حتى الرمق الاخير، الى كل اللواتي يعشن محرومات من حقوقهن في بلادهن... الى كل النساء اللواتي نفذ فيهن حكم الإعدام علناً تحت عيون أبنائهن وأقاربهن دون رأفة، اهديه ايضا الى أمي التي ساعدتني في كل برهة باعطائي دروسا في الحرية والمقاومة».

هذا الكتاب شهادة صبية افغانية تروي فيه حكايتها مع أسرتها ابان حكم طالبان لبلادها. وهو نوع من ادب السيرة الذاتية المثير من زاوية غرابة الاحداث والسلوك والمواقف. في ما مضى وعندما كنا نسمع عن بعض الاحداث في افغانستان ينتابنا شعور بأن ثمة مبالغة في العرض. غير ان استعراض تجربة لطيفة يجعل القارئ يعيش على اعصابه طوال الوقت. ولا شك في ان هذه التجربة فريدة من نوعها وتحتاج الى زمن اطول لمعرفة خباياها وفلسفتها ودروسها.

تبدأ لطيفة روايتها او شهادتها من لحظة انتصار قوات الطالبان في ٢٧ أيلول من العام ١٩٩٦. عندما تجاوزت السادسة عشرة من عمرها، كانت احلامها كبيرة وآمالها واسعة وهي تتجه لمهنة الصحافة. لكن مراسيم طالبان قضت على آمالها دفعة واحدة حين اعلن راديو الشريعة المراسيم الجديدة التالية: ليس للبنات والنساء الحق في العمل خارج المنزل بما في ذلك الذهاب للمدرسة.

والنساء اللواتي يضطررن الى مغادرة منازلهن يكن مصحوبات بمحرم (أب، أخ، زوج).

ترتدي النساء والفتيات «التشادري» وهو عبارة عن غطاء لكل الجسم ويحظر عليهن ارتداء ملابس فاقعة اللون تحت التشادر. ويمنع طلاء الاظافر واستخدام احمر الشفاه والماكياج منعاً باتاً. المراسيم الاولى اخرجت البنات من المدارس ومن العمل دفعة واحدة وعطلت بذلك نصف المجتمع عن التعليم والانتاج. وكان لهذه القرارات وقع مدمر على المرأة الافغانية التي تم اقصاؤها ووضعها على هامش المجتمع بالقوة، كما ساهمت في إعادة تشكيل بنية المجتمع على اساس ذكوري خالص.

وفي الايام التالية تلا راديو الشريعة رزمة من الممنوعات الجديدة:

لايحق لأي طبيب ان يمس جسد امرأة بحجة الفحص الطبي. وهذا الاجراء كان من شأنه حرمان المرأة من العلاج بشكل كامل. فلا يسمح للمرأة بالعمل في حقل الطبابة ولا يسمح لها أن تدرس الطب اساسا. ويمنع على اية فتاة تبادل الحديث مع الشباب، وفي حالة المخافة يزوج المخالفون فوراً.

لم يعد هناك عمل للنساء، ولا تعليم بالطبع، انهم يقتلوننا نحن الفتيات والنساء بصمت وبصورة ماكرة، يقتلوننا باسم الشريعة (شريعتهم شريعة طالبان) اما الشريعة الاسلامية فهي براء من كل مواقفهم الجنونية. السؤال الذي تطرحه الكاتبة ولم تستطع الاجابة عليه، لماذا تعامل الطالبان مع المرأة كعدو من الدرجة الاولى؟ لماذا تتعرض المرأة لكل هذا الاضطهاد البشع والعقوبات الوحشية؟ وما هي المسوغات لذلك؟ هي لا تستطيع تفسير ذلك وهم غير قادرين على تبرير افعالهم، هم فقط يترجمون سياستهم بالارهاب والقمع الدموي.

لكن المرأة لم تستسلم لغطرسة الجنون والارهاب. كانت ام لطيفة في فترة دراستها ترتدي تنانير او بنطلونات، وكانت النساء والفتيات يذهبن الى السينما، في ذلك الزمان الذي سبق عهد طالبان بعقدين ونيف، كانت نساء كابول يطالبن بحقوقهن، وكانت الأم منضوية في اطار الرابطة النسائية التي تسعى لتطبيق القانون الذي اقرته الحكومة بمناسبة سنة المرأة عام ١٩٧٥، الذي جاء فيه: يحق المرأة الافغانية اختيار مهنتها وزوجها. كانت ام لطيفة من المناضلات النسويات اللواتي ناضلن في مواجهة الرواسب القبلية التقليدية. وقد امضت الام فترة تدريبها كممرضة في مؤسسة مخصصة للنساء في كابول، ما أكسبها تجربة مهمة في مجال التمريض النسائي ثم تابعت عملها عبر تخصص الطب النسائي وعملت فترة طويلة في المستشفى الى ان جاءت مراسيم طالبان لتمنعها من العمل. لكن هذه السيدة لم تستسلم فحولت بيتها الى مشفى سري صغير، تعالج النساء القادمات اليها. كانت المريضات يأتين الى منزلنا خلسة، يقرعن الباب بطريقة ملحة ومستعجلة كأنما تقول تلك الاصوات اللحوحة افتحوا بسرعة خبئوني. صار الخوف ملازماً للنساء، النساء المضروبات من قوات طالبان لأتفه الاسباب كالخروج من البيت بمفردها لشراء احتياجات!! مرات كثيرة اضطرت الام لاجراء عمليات جراحية إنقاذية وصعبة في البيت دون معدات ضرورية ودون مخدر مثلاً! وتذكر لطيفة حادثة مريبة عندما جاءت اليهم ثلاث فتيات صغيرات مغتصبات من قبل أفراد من الطالبان. لقد تم اغتصاب الصغيرات من قبل خمسة عشر رجلاً مزقوا أحشاءهن. إن هذه الحادثة المرعبة اشعرت الام الطبيبة بالعجز والضعف فليس لديها شيء تستطيع بواسطته تخفيف آلامهن الرهيبة، لم تعد روحها المرهقة تحتمل الشعور بالضعف والعجز.

وفي مشهد آخر ضبطت فوزية احدى المدرسات السابقات مؤخرا «بالجرم» المشهود وسط غرفة درس سرية، ضربوا الاطفال اولاً ثم انقضوا عليها، ألقوا بها على درج بنايتها فكسرت ساقها، ثم جروها من شعرها وسجنوها وأرغموها على توقيع تعهد بعدم المخالفة مرة اخرى. قررت لطيفة وصديقتها بعد سماع حكاية المعلمة فوزية ان تتابعا ما بدأته بعد أن وجهتا رسالة سرية صغيرة لها، ردت هي بدورها بسرعة كبيرة عبرت فيها عن ترحيبها واستعدادها الكامل للتعاون معهما. بدأت المدرسة بعشرين طفلاً وطفلة وكان نصيب كل منهما عشرة اطفال تتراوح اعمارهن ما بين الخامسة والرابعة عشرة، وانضمت اليهما زميلة ثالثة لتعليم الرياضيات، كما انضمت معلمة رابعة لتعليم الانكليزية لليافعين. كانت الشبكة منظمة وكل شخص فيها يلعب دوره بمنتهى الدقة، الاهل معروفون، والاطفال يملكون الدافع. إن هذه المدرسة السرية اعادت الحياة الى المنزل فكل افراده يمارسون ادواراً مختلفة حتى الام الطبيبة استعادت حيويتها فهي تطبخ للتلاميذ وتشجعهم على العمل باعتباره وسيلة لمتابعة القتال.

كان يتخلل هذه الدروس بعض الالعاب التي تبعث على الفرح، هذا الممنوع من قبل قوات طالبان كنا نسرقه كما نسرق بعض الاعياد والذكريات الاسرية الممنوعة، كن يسمعن الموسيقى والاغاني سراً، ويقرأن الروايات ويتبادلن الكتب سراً. كانوا يقيمون الإعراس سراً، يسمعون الاخبار سراً ويفرحون سراً وينتظرون بزوغ الفجر علناً. لكن هذا الشعب المنكوب بالاحتلالات والسلطات المستبدة. انتقل من ظلام الاصولية الى ظلام الاحتلال.

ديكنا مصاب بالأنفلونزا

ملك عدلة النجار

باختصار شديد أحب زوجي الذي كان يتشارك وديكنا أبو منقار صياح الصباح الباكر ... زوجي مرزوق الذي يشاركني الوسادة وأشاركه ارتداء ملابسه المستعملة التي يهدينا إياها أولاد الحلال (الله يكترهم).

احببته اكثر بعد ان انجبنا اطفالنا (الشلبيين) عيسى وسمر وعماد أبناء الرابعة والثالثة والثانية، هم من يشاركوننا خبز الطابون الذي تخبزه حماتي (الله يديمها شو حنونه).

نتشارك انا وعائلتي الصغيرة بيتها المكون من غرفة نوم أضحت غرفة نومي بعد أن اصبحت عروساً بعد خمس سنوات لتصبح غرفة لخمسة اشخاص ، يعني ان حماتي استقلت بسريرها الحديدي القديم الذي اضحى عنصر جلوس رئيس لضيوفنا، إضافة إلى الكراسي البلاستيكية الثلاثة التي جاءت من باب الله الكريم ... انها المقاعد المفضلة عند الجلوس لأسباب اهمها الهدوء الذي تتباهى به عندما تنطلق (الزيق ...زيق ...) من سرير حماتي المسكينة.

جميع هذه المقاعد متواجدة في فرندة تتسعها ونبتتي حماتي السجادة الخمرية وكف الهوى بالاضافة لخزانة خشبية صغيرة اشبه بالكمدينو، يحتوي جارورها العلوي على أدوية المرأة العجوز ... نظارتها ومسبحتها التي تضيء وحدها بالليل، ما يبعث البهجة في قلوب أطفالها، اما الجزء السفلي من الخزانة فيتطيب برائحة العجوز العالقة في ما تبقى من ملابسها...

اطبخ واياها في مطبخنا الصغير ونحمم أولادنا في الحمام الأصغر، اننا في حالة من رضا يمدنا بسعادة لكن يحصل ان يكون ما حدث ذاك اليوم ... عندما ظهر ذلك الكاريكاتير في احدى الجرائد ... نعم كاريكاتير على لسان دجاجة زهرية اللون ذات عرف وذيل ملونين تقول اعدموني ...بالون يخرج من فمها كتب عليه «اذا انا مشكلة العالم اعدموني» لقد كانت تقف على جريدة مليئة بأسباب المشاكل العالمية التي تنادي اتركوا هذه المسكينة وحلوني. كنت بضيافة جارتنا مريم احتسيت معها القهوة وبعض أخبار الجريدة التي استمتع عند سماعها ليس لحلاوتها وانما لعذوبة صوت جارتنا وصوت آخر لورقة وقلم يرقصان في داخلي بانتصار كلما احتسيت معلومة جديدة ... بينما كانت مريم تقرأ الجريدة وقع نظري على الكاريكاتير الموجود على الصفحة الأخيرة للجريدة التي تطالب دجاجتها بالاعدام فأخذت اضحك واضحك، ما اجبر مريم على الضحك قبل معرفة السبب وفجأة سقطت دجاجة من احدى الشبابيك على حضن مريم فهبت تصيح من المفاجأة ملقية الجريدة في حضني، لقد كانت احدى دجاجاتنا الاثنتي عشرة من وقعت في حضنها ركضت وركضت خلفها مريم لتلتقطها خوفا من أن تدخل غرفة ولدها الرضيع ... ركضت خلفهما لأساعدها... كان خلفي من يساعد ويصرخ بأعلى صوته التقطوها ... انه صغيري عيسى دخل بيت جيراننا بسرعة تفوق حذاءه الصغير ليلتقط دجاجة جدته ... هربت الدجاجة من الشباك الآخر فلحقنا بها أنا وولدي لكني توقفت ... لماذا اركض والحارة كلها تلحق بدجاجتنا المسكينة التي ختمت تاريخها بقفزها في قدر الماء الساخن الذي جهزته حماتي لتنظف به ريش دجاجاتها... لقد نفقت الدجاجة غرقاً... هدأ الحشد لوهلة بهذا المشهد... هب الصغير عيسى متمتماً بلسان الأربع سنوات (ماما الجاجة فيها امفلوزة، ماتت ...).

صاحت حماتي وينك يا حنان الديك ابو منقار مات ... اجبت بلهجة مازحة لا تخلو من سخرية ومفاجأة ... وكيف مات هل انتحر الآخر فأوقع بنفسه من سطح القن ...؟

نطق زوجي بلهجة مزمجرة لقد مات ديك امي الوحيد بانفلونزا الطيور... وصل المرض لبيتنا وانت تمزحين هل جننت؟

بدا لي زوجي لوهلة بأنه مرزوق السفاح انه يحمل سكين المطبخ الكبيرة الملطخة بدماء الاحدى عشرة دجاجة المترامية هنا وهناك ... تخيلت بأنه سيلحقني بها عوضا عن من غرقت منها... رفع سكينه صائحا بالجيش المحيط به: هيا لقد اتى دور الحمام ادخلوا القن ولا تنسوا بابه مفتوحا وما هي الا عشر دقائق حتى طارت ست عشرة حمامة من اصل عشرين ذبح مرزوق ما تبقى دون تردد ... اكملت حماتي هدفها الحالي في الحياة حماية اسرتنا من الهلاك بمرض انفلونزا الطيور كخطوة اولى... تلتها بخطوة اخرى أظهرت فيها كرمها واعتزازها بعائلتها ومن ناصرها من اهل الحارة في مطاردة ناقلي المرض ... لقد اعدت وجبتنا المفضلة مسخن بالطابون والدجاج ... شكرها الجميع وتمنوا لها دوام الصحة والعافية، جاء مساء اليوم الذي لم أنم ليلته وللحقيقة لم أشأ أن اهرب منها لجديد برنامج الصباح، أذان الفجر يذكر بخالق الكون ويدعو لتوحيده لكن أين ديكنا ابو منقار الذي يواظب بفطرته على توحيد خالقه؟ فجر هذا اليوم ينقصه ...

تسلقت خيوط الصباح للشق الذي لم تستره الستائر، لم يصحُ الصغير عماد على غير عادته وتبعاً لذلك لم يصحُ أبوه مرزوق صائحا... انه اذاً صباح هادئ ... تسحبت لأشارك العجوز قهوة الصباح الأولى، لم أجد رائحتها ... غريب هذا الصباح... اقتربت من العجوز لأوقظها للصلاة (بدت لي مستيقظة) أدرت مذياعها الصغير على قراءة للقرآن الكريم.

هكذا عرفت صباحها مذ جعلتني كنة، هي من تناديني لاحتساء القهوة أصلاً ختمت العجوز صلاتها بالدعاء لنا كعادتها: الله يهديك يا مرزوق ويفتحها بوجهك ويرزقك برزقة هالعيال ... تبسمت لعدة اسباب يؤلم شرحها ... ارتشفت انا وحماتي القهوة بصمت يفهم كلانا مغزاه ... ها هم صغارنا الثلاثة يلعبون ويتصايحون، ارتفعت الوتيرة بصياح مرزوق: الله يلعنكم ويلعن ابوكم ... بدي انام يا مرة وينك تعالي خدي هالقرود من فوق راسي ... اخرجت صغاري لإطعامهم، كانت حماتي قد سبقتني لاعداد الفطور ... بيض مقلي للصغار وبيضتان مسلوقتان لي ولها، بعض قطع من جبنة صفراء، واخرى من المرتديلا (كلاهما من معلبات المؤن الذي تواظب حماتي على تسلمه كل شهر)... رغيفان من خبز الطابون الذي تعده من طحين المؤن أيضا... كنت سأسألها أن توفر البيضتين المسلوقتين ... تصلحان ان تكونا مقليتين لصغارنا في يوم آخر ... لكني تراجعت عن وقاحتي عندما لاحظت أنها لم تقم بشرب بيضة نيئة كما تحب ان تفعل كل صباح ... دجاجاتها وحماماتها كن مصدر الرزق الوحيد لعائلتها... هي المسؤولة عن كل ما يدور حولهن من عناية وبيع و شراء، مصدر رزق فقير لكنه كان مباركا من الله فهو اعلم بحالنا، كانت تتناول فطورها بصمت محزن حتى انها لم تتناول بيضتها المسلوقة، هبت سريعا لارتداء ملابسها متوجهة للسوق، هي تذهب للسوق يوميا تقريبا لكنها بكّرت هذه المرة لخلو برنامجها من الزيارة الصباحية للقن.

بدا لي الأطفال في منتهى السعادة، ارتدى عيسى بنطاله الأحمر الذي بدا قصيرا عليه، لم يرتدِه منذ أشهر ديكنا أبو منقار منقاره عليه ... لقد كان ديكا مغرورا بعرفه الأحمر ... يهاجم بمنقاره كل من يرتدي الأحمر مثله، لعب صغاري خارجا مطمئنين فرحين، دار حوار بين عيسى وسمر فيما اذا نفق ابو منقار بأنفلونزا الطيور ام بالغرق غطساً في المياه الساخنة ... شاركهم بهذا الحوار عدد من صغار الحي الذين عانوا أيضا من منقار أبو منقار ... نهاية عبّر الجميع عن ارتياحهم من ابي منقار وأنهم سيرتدون من اليوم ما يحلو لهم من ألوان ... اطلت الساعة الواحدة ظهرا مع عودة العجوز تحمل بيدها رطلاً من الترمس وبيدها الأخرى رطل من الحمص... أما ثغرها الصغير كان يحمل ابتسامة رضا عن النفس.

نادت اسمي بثقة: حنان وينك؟ تعالي يا ابنيتي خذي من إيدي ...انقعي الحمص بالوعاء الأحمر والترمس في الوعاء البرتقالي فتحت خزانة المطبخ لتتأكد من كمية الذرة الصفراء التي لدينا...(أنني أحترمها) ناولتها لفافة من الأكياس البلاستيكية الصغيرة، تعالت أصوات الأطفال خارجا... هيه... هيه... رجع الحمام... ماما... ستي الحجة... رجع الحمام، خرجنا لنتأكد مما سمعناه ... لقد عاد الحمام فعلاً ... صاحت الحجة ... طيروهم يا صغار ما بدنا اياهم فيهم مرض ... لم تنجح خطتها هذه المرة ... لقد اقنعتها بأن المرض لم يصل لفلسطين بعد وبأننا سنجد وسيلة لعزلها عن الطيور البرية القادمة من الخارج ... العجوز المسكينة لقد صدمت عندما علمت بأن أبا منقار لم يمت بالانفلونزا وإنما بلدغة عقرب كنت قد قتلته بقربه ...لامتني لماذا لم أقل لها ... لقد كانت في السوق ... وعندما عادت كنت في زيارة لجارتنا مريم ... نادت العجوز ابنها الوحيد ... مرزوق ... يا مرزوق قوم من النوم ... الحمامات رجعوا ... الله لا يقطع رزقة حدا يا بنيّ ... قوم يا مرزوق بكفيش ديكنا أبو منقار مات وانذبحوا هالجاجات بسببه ...؟

الفنانة التشكيلية لطيفة يوسف

الفنان الفلسطيني أكثر حظاً من نظرائه العرب

تجربتي معقولة وما زلت أحلم
اختمرت مسيرتي بعمل عن جدار الفصل

القاهرة. مها أبو عين

قالت: «أين نحن من سحر المتوسط وشفافية هذا العالم ونحن نعاني الاحتلال الذي تكلل بالجدار». هكذا دفعها حسها الفني المرهف رغم غربتها عن وطنها فلسطين لتخاطب العالم أجمع في آخر معارضها الفنية في بينالي الاسكندرية في مصر وافتتح في الأول من كانون الأول الماضي تحت عنوان سحر المتوسط شفافية الكون.

إنها الفنانة التشكيلية الفلسطينية لطيفة يوسف مسؤولة ملف الأسرة والطفل في مندوبية فلسطين لدى جامعة الدول العربية في القاهرة، والتي تلاطف الطبيعة بريشتها وألوانها الآسرة لتخفف من حدة الأسر والحصار الذي يكابده شعبها ومن شتى صنوف الألم، هناك تتنوع ضحكاتها وأطيافها لترسم شخصية جمالية في روحها وعشقها الجاهلي للحياة وذكرياتها التي اغرورقت عيناها الشامختان في سرد تفاصيلها. في العاصمة المصرية القاهرة حيث تقيم حيث كان هذا الحوار مع لطيفة يوسف ابنة مخيم خان يونس في غزة التي واكبت تعليمها الثانوي بعد هجرتها مع أهلها من مسقط رأسها (اسدود) التي احتلت العام ١٩٤٨.

ارتقت الى النجومية في ٢٣ معرضاً خاصاً بها في عدة دول عربية وأجنبية أثبتت معها قدرة فائقة من التحدي والصبر على الشدائد عبر خمسين عاماً بدأتها في مدارس وكالة الغوث الدولية وتشجيع الوالد الحنون الفخور بها مروراً بمعهد المعلمات في مدينة رام الله وحصلت منه على دبلوم فنون أهّلها للتدريس في الأردن والبحرين الى أن انتهى بها المشوار الى هنا الى قاهرة المعز. وكان الحوار التالي:

* ما تقييمك للمشهد العربي التشكيلي الآن؟

.إن الساحة العربية ثرية الآن بكافة تخصصاتها في هذا المجال وكل النواحي المتعلقة بهذا الفن سواء من حيث الانتاج أو نوعية الفنانين يوجد نضج ووعي عبر طرح مواكب للحركة التشكيلية عالمياً خاصة ان الفنان العربي جزء لا يتجزأ منها لا يتوفر لديه احساس بالنقص إلا عبر التعاطي مع المؤسسات الرسمية وفي نهاية المطاف فإن الفن التشكيلي يعتبر قافزاً على مجمل الفنون الأخرى باستثناء الشعر الذي لا أتعداه كما أن الحركة التشكيلية العربية مواكبة تماماً للمسرح لتلتقي كل الفنون معاً عبر دمج ملحوظ في كافة البلدان العربية.

* برأيك ما أبرز التحديات التي تواجه الفنان التشكيلي على المستوى العربي؟

.هما نوعان الأول ذاتي والثاني موضوعي أما بالنسبة للشق الأول فطبيعة أي فنان تتسم بالحساسية والنرجسية يتطلب اهتماماً خاصاً من الآخرين ويمكنني القول إن ثلاثة أرباع الفنانين يعتمدون على الغير في اكتشاف ذواتهم.

* ماذا بشأن الحركة التشكيلية الفلسطينية كيف تقييمها الآن؟ وما أبرز التحديات التي تواجهها؟

. إن الفنان التشكيلي الفلسطيني أكثر حظاً من باقي الفنانين العرب بغض النظر عن وجود الاحتلال الإسرائيلي، فالفنان له دور في النضال ووسائل الإعلام تركز على هذا حتى الآن.

* إذاً، هل أنت راضية عن الدور الذي يمثله الفنان الفلسطيني حالياً؟

.لست راضية تماماً، وما وصل إليه اعتبره وسطاً خاصة أني بلغت الخمسين من العمر الأمر الذي يؤهلني لأقول إني راضية إلى هذا المستوى الذي حققت معه نفسي، وفي مجمل القول الفنان الفلسطيني أخذ حقه يعكس الواقع الواحد ذاته الموجود يكبر بسرعة عبر ما يواجهه من ظروف الاحتلال من اعتقال وغيره ليظهر كأن الفنانين جميعاً في عمر واحد مع اختلاف بزمن التجربة، فالأمر ليس مطلقاً وإنما توجد استثناءات، وفي هذا المجال لا بد لي أن أذكر الفنان رائد عيسى من غزة لما له من دور فاعل ومهم جداً في إثراء الحركة التشكيلية الفلسطينية مع الإشارة الى أن حرب العام ٦٧ أفرزت جيلاً متميزاً من الفنانين.

* هل الظروف المحاطة بالفنان الفلسطيني متساوية بين داخل الوطن وخارجه؟

. المعاناة واحدة مع اختلاف في نوعيتها في الداخل يجد دعماً من منظمات غير حكومية أما في الخارج فإن بإمكانه التمتع أكثر برؤية بصرية أوسع لا تلقى الدعم إلا من قبل محاولاته الفردية مع الإشارة الى أن الفنان داخل فلسطين لديه إمكانية الانتشار بشكل أوسع والسبب يعود الى فشل المؤسسات وإخفاقها في التنسيق مع الفنانين خارج الوطن.

* ما هي العراقيل التي تواجه الفنان الفلسطيني؟

.بخلاف ظروف الاحتلال هناك ظروف مادية صعبة لا تتوفر معها الخامات الضرورية والرؤية بالاطلاع على معارض الآخرين علاوة على الظرف الاجتماعي الذي يصف الفنان بأنه غير مقبول مع تهميش لدوره من قبل مجتمع لا يزال ينظر للمبدع نظرة دونية للاعتقاد بأن النضال أهم ليبدو في هذه الحالة كأنه فرد غريب الأطوار حتى من قبل أقرب المقربين له.

* ما تقييمك الآن لدور وسائل الإعلام ودعمها؟

.يوجد تعتيم جزئي لعدم وعي المسؤولين في المؤسسات الرسمية كما ذكرت سابقاً مع أن المراكز الثقافية تقوم بدور مميز.

* هل تعنين بأن جميع وسائل الإعلام على اختلاف ألوانها مقصرة؟

. كلها باستثناء الاعلام المكتوب اعتبر الوسائل المسموعة أفضل من المرئية التي لا تتضمن الأخيرة برامج ذات بعد استراتيجي لتسليط الضوء على الفنان وطبعاً هذا على المستوى الإعلامي الفلسطيني والعربي باختلاف نسبي.

* ما المطلوب إعلامياً لدعم الفنان؟

. أولاً، لا بد للفنان أن يدعم نفسه في المرتبة الأولى مع الاهتمام بمواكبة العصر واستمرارية التعلم والاحتفاظ بأسلوب خاص له حتى في حال وصوله إلى قمة النجاح لا بد له من مواصلة التحدي الذاتي عبر دائرة كاملة تشكله.

* هل هناك اضافات أخرى توجهينها كنصيحة للفنانين الشباب؟

. على الرغم من تحقيق النجاح لا بد لهم من مواصلة احترام كبار الفنانين حيث يملك الفنان الكبير في السن قلباً شاباً وطموحاً كأنه في الصبا الأمر الذي يخلق حالة من الابتكار الجديد.

* ما مدى تقييمك لتجربتك الخاصة؟

. اعتبرها معقولة حيث انني منطقية مع نفسي ولا أتمتع بنسبة كبيرة من الخيال ولم أكن أرسم لما وصلت إليه الآن، ولكن أقول دوماً إن هناك شيئاً قادماً مع حرصي على التعلم والمحافظة على الخط الخاص بي وما حققته عالمياً لم أحلم به ولم أفكر به إلا أنني وصلت إليه بالتحدي واثبات الذات اجتماعياً وواقعياً وذلك على الرغم من أني من مخيم وتعرضت للابعاد عدة مرات بتهمة الانتماء للجبهة الشعبية علاوة على الاغتراب الذي عانيته من أجل لقمة العيش وما صاحبه من صبر وكأني أضرب في الصخر للمحافظة على هذا الفن ولأكون جزءاً لفلسطين. الآن وصلت الى مرحلة مهمة تتجسد في التمثيل الجيد لوطني ولحقي العادل في تحقيق رؤية جمالية جديدة أحرص خلالها على أن أكون الإنسانة الفلسطينية التي تملك لغة مع الآخرين عمادها القناعة والرضا.

* إذاً، هل حققت جزءاً كبيراً من أحلامك؟

. حققت جزءاً وما زلت أحلم بامتلاك ورشة عمل خاصة بي في مكان وعلى أرضي عبر مشروع ثقافي متكامل مواكب لما وصلت إليه من مستوى امتلاك الأدوات الفنية الراضية عنها. بالنسبة لمشاركتي الدولية راضية عنها مع قلتها ولكن لديّ طاقة أكثر من المطروح ومقتنعة بدوري ولا أحس بأني مقصرة. وفي النهاية أعتقد بأني من الفنانين الملتزمين وطنياً أقوم بما استطيع ولو دفعت من قوتي الشخصية وفي مجمل القول هناك راحة نفسية في وقت تحققت فيه الأحلام والتطلعات.

* بنظرك إلى ماذا تحتاج المرأة الفنانة وما المطلوب لدعمها؟

. لا بد للمرأة أن تقفز عن فكرة المساواة مع الرجل لتضع نفسها في خانة الإنسان المبدع والإصرار على مواصلة التحدي المجتمعي والمحافظة على السلوك البسيط والابتعاد عن التعالي حيث ان غالبية الفنانات نرجسيات عندهن نظرة فوقية أكثر من الرجل تزداد أكثر في حال الانتماء لطبقة برجوازية.

* شاركت مؤخراً في بينالي الاسكندرية على أي أساس جاءت هذه المشاركة في متحف الفنون؟

. لقد رغبت في الاستمرار بخطي الخاص لعرض جزء من الواقع الفلسطيني وآخر مستجدات الاحتلال وهو جدار الفصل فمن خلال فني التشكيلي وضحت طبيعة هذا الجدار بشكل بسيط ومقروء ومختزل يعكس تجربتي على مدى سنين طويلة لأشعر بالسعادة بعد أن اختمرت مسيرتي الفنية في هذا العمل الذي أقف معه على أرض صلبة من حيث الاختيار والخامات.

* كيف خطرت لك الفكرة؟

. بدأ ذلك منذ اللحظة الأولى لتجريف الأراضي الفلسطينية وبناء الجدار شعرت بالألم الكبير ازاء هذه القضية الوطنية والعمل اللاإنساني واعتبر سور برلين لا يشكل نقطة من بحر في هذا الثعبان.

* كيف جرى تنفيذ الفكرة؟ وما الألوان التي تم اعتمادها؟

. في البداية اخترت اللونين الأبيض والأسود كحق وباطل وادخلت قصاصات من الجرائد المكتوبة على الجدار (كولاج) وتم عرضها في آخر معرض لي في القاهرة أخذتها عن لوحة استقطبت آراء جيدة دفعتني الى ضرورة تجسيد عمل مركب أواكب معه ما هو مطروح على الساحة التشكيلية حتى لا أغني خارج السرب وبالنسبة للتنفيذ فقد استغرق شهرين الى أن وصل الى ما هو عليه الآن من خلفية مكونة من لوحة فنية بعرض ٣ أمتار وبارتفاع متر ونصف المتر، وبالطبع هي دهان وجزء من (كولاج) حسب ما ذكرت احتوى مادة صحافية عن جدار الفصل جمعتها باللغات العربية والانكليزية والفرنسية تمت طباعتها على قماش سادة أخذت من شرائح للصقها حتى تكون ضمن العمل وتساعد على الرؤية الجمالية التي أضيفت اليها خريطة فلسطين على أربع مراحل منها المرحلة الأخيرة لتبين المساحات الجغرافية بعد الجدار العازل وإلى ذلك شرائح منفصلة تمثل هذا الجدار ولا تحاكي الطبيعة وضعتها بطريقة ملتفة وتدخل في صلب اللوحة التي تقام حوله مع صورة ايضاحية تظهر مدى أثر هذا الجدار في الفصل عن الحياة.

لحظات مفرغة

هداية شمعون

لحظات مفرغة تولد من العدم، تنبتني أعواماً في التيه، تحتضنني وسط الركام اللامرئي من الانكسارات المأخوذة بلحن القافية، ترمقني لوهلة بالعري لألواني فأشيخ دهراً في عينها، لحظات مترنحة بأصداء مقلتي أرنو لسماع صوتك – ذلك الذي هزمني في الصباحات الأولى – ويدق جرس الهاتف، تلتقي أناملي بلوعتي وحزني بينما يغيب صوتي في التيه، لحظات أذوب فيها في حنايا ألمي – الذي شطرته نصفين في المساءات الأولى – وأهتف من بين أمطار عيوني المنهزمة من موسيقى كلماتك المبتة في البعد، أهتف وسنابل الوجد تتألق وألسنة اللهب تشعلني ركاماً، صباح الخير، ما عدت أرى في يومي نهراً ولا في كلماتي لحناً، ما عدت أتنسّمك في شتائي القادم، وحزني المتربع قبل ميلادي، ما عدت أعشق عمري، ولا أملك لوناً غير السراب، ما عدت أحلم ببحر وسماء، ما عدت أحلق بين عصافير الحب وما عادت يداي تنام على وسادتي، ما عدت أنا تلك التي يرق لها الكون طفلاً، ولا تلك التي يتثاءب لأجلها الوديان، لحظات هي هتفت بها بموتي بين دقات قلبي المتهالك على طرقات الجنة أو النار، ما عدت أملك لحناً يعانقني، ما عاد ظلي يهدهدني وما عدت في ذاك المكان، بدأت أراك الآن، رأيتك الآن بين انهيارات فؤادي وبين عينيك المضمختين بهذياني.

أنا لم أمت بعد، فكلماتك توقظ فيّ موتي وأنا ما عدت أملك دفاتري ولا خطوط وجهي – ذلك الوجه الذي هدمته في لحظات مفرغة من الحنين ولم تره – أنا لم أسافر يوماً دون حقائبك، دون عينيك، أنا لم أدق نعشي بيديك، فأنا لم أكن سوى أنت، أنا لم أبكِ في ساعات موتي – تلك التي عزفت فيها بصليل أحرفك جدران صمتك – أنا لم أبكِ أيام موتي، فقد كان جسدي معلّقاً، وصخور جليدية تطبق على أنفاسه فتحيله دماءً مسفوكة، فأنا لم أبكِ، بكتك روحي وأدمتها أصداء غيماتك المهاجرة.

لحظات مفرغة أنتظر فيها سماع رنين أنفاسك لتجيب موتي، وجاءتني الكلمات مبهمة، صباح الخير، صباح الخير، لم أدرك أني ما زلت أحيا في عيونهم، فقد كان الصوت غير صوتك، وكانت روحي مهاجرة في العدم، وأقفلت رنيناً متواصلاً، فعاد صامتاً يخلو من الحياة وعيناي معلقة بوجهك رغم برودة المكان، ومضيت عابثة بجدائل شعري وأدركت كم مضى من الزمان.

هموم غير عادية
لامرأة عادية

بقلم: عطاف يوسف

اليــوم

اليو يقفل العقد الثالث لذكرى يوم الأرض، الثلاثون من آذار شهر الخير، وشهر تفتح الأزهار، وفيه تضع الطيور بيوضها في أعشاش بنتها على مهل، تحرسها حتى تفقس لتفرخ طيورا صغيرة، تملأ الكون بتغريدها وزقزقتها. آه ما أجمل زقزقة العصافير تتجمع على قمة شجرة عالية قبل المساء بقليل، تختبئ بين الأغصان من وحشة الظلمة، ومن المتربصين في الظلام سواء أكانوا بشرا أم حيوانات مفترسة، وما أجمل أن تجتمع الطيور حول بركة ماء يصب فيها ينبوع صغير ينحدر من تحت الجبل، فيفيض ماء رقراقا باردا لا ترتوي منه مهما شربت، ولا يثقل على معدتك سواء كانت خالية أم ممتلئة.

وإذا كنت محظوظا مثلما كنت في طفولتي، وقدر لك أن تنام في الخلاء بالقرب من بركة ماء، بالتأكيد ستسمع صوت نقيق الضفادع في الليل متناغما مع صوت مزراب الينبوع المنسدل برقة، وستسمع أيضا صوت "أبي زيد"، تلك الحشرة التي تشبه الجندب إلى حد بعيد، وتصدر أزيزا موسيقيا قويا، يضاف إلى ذلك صوت الرياح وحفيف أوراق الشجر، وأصوات أخرى تنبعث من الظلمة ولا تدري مصدرها، أو إن كانت حقيقية أم وهما، كلها تجتمع معا، وما أجمل أن ترتدي معطفا خفيفا، أو تلتف بشال أو بطانية وتجلس فوق صخرة، تستمع إلى كل ذلك وتستمتع بضوء القمر في ليالي اكتماله، فتتشكل الهالات تحت الأشجار وتبقى هناك حتى يفاجئك النوم ويتغلب عليك سلطانه، فتصحو بعد فترة وجيزة – تخالها طويلة – مقرورا أوصالك ترتجف، فتسارع للاحتماء بأي سقف حتى لو كان طينيا أو مصنوعا من القش والبوص.

ربما أكون قد شطحت، وربما يتساءل البعض ما علاقة ذلك بيوم الأرض؟ العلاقة موجودة وقوية، فالفلاح الفلسطيني كانت أرضه مصدر رزقه الوحيد، فيها يعمل ومن إنتاجها يأكل ويبيع ما يفيض ليشترى منه حاجاته الأخرى، لذلك كان يضطر في كثير من الأوقات للانتقال من بيته وقريته للسكن في هذه الأرض التي يزرعها ويحافظ على أشجارها، انتظارا لجني المحصول.

ربما رسمت في البداية صورة رومانسية جميلة لهذه الحياة، وهي حقا كذلك، لكنها لا تخلو أبدا من القسوة، فأن تكون وحدك في مواجهة مع الطبيعة فهذا صعب، فكم من مرة فاجأتنا الأمطار وهدمت السقف الطيني، ولم نجد بدا من اللجوء إلى الكهوف على رهبتها، وكم من مرة بخلت علينا الأرض بعطائها، فلم يكن المنتوج يلبي أدنى الاحتياجات الضرورية للعائلة، فنضطر لشد الأحزمة المشدودة أصلا على البطون في انتظار الموسم المقبل، وإذا صادف أن مر موسمان سيئان متتابعان فيا للهول! ستختفي البطون وتلتصق بالظهور المنحنية من كثرة ما تراكم عليها من أعباء العمل القاسي بقسوة صخور الأرض أحيانا.

وبرغم القسوة والجمال، إلا أن الفلاح الفلسطيني كان يملك حريته في الوصول إلى أرضه والعمل بها ورعايتها متى شاء، صيفاً وشتاءً وربيعاً وخريفاً، وكان حرا في تركها إذا لم تدر عليه ما يكفي حاجته والبحث عن وسائل أخرى للرزق، لكن أن يفرض عليه ذلك فرضا ومن قبل أعداء مصرون على نهب أرضه وتدميرها وزرعها بالمستوطنات، هنا تصبح الأرض أغلى، وكل ذرة تراب ربما تعادل نقطة دم، وهذا ما حصل عام ١٩٧٦ عندما سالت دماء الفلسطينيين في قرى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ دفاعا عن أرضهم المصادرة لأغراض قيل أنها عسكرية، لكن سرعان ما تبين زيف هذه الادعاءات على أرض الواقع،–+ ولم تكن تلك المصادرة إلا بهدف بناء المزيد من المستوطنات لتغيير الخارطة الجغرافية والديمغرافية للمنطقة، خوفا من القنبلة الموقوتة حسب زعمهم، والمتمثلة في زيادة عدد المواطنين الفلسطينيين الصامدين على أرضهم وقراهم في الجليل والنقب، وفي كافة المدن والقرى العربية المحتلة عام ١٩٤٨.

ولم تتوقف الأطماع الإسرائيلية على الأراضي داخل حدود ما استولوا عليه عام ٤٨، وإنما امتدت تلك الأطماع لما استولوا عليه عام ١٩٦٧، فمنذ اليوم الأول لاحتلالهم الأرض بدأت عملية النهب المبرمجة للأراضي بحجج أو بدون حجج، فما أسهل أن تأتي جرافة تبدأ في حفر الأرض، ويقوم بضعة أشخاص بوضع شيك حولها، ويسارع الجيش الإسرائيلي لتوفير الحماية لهم، حتى تصبح بعد أيام نواة لمستوطنة جديدة لا تبعد عن مستوطنة أخرى سوى بضع المئات من الأمتار، وكل ذلك أمام أبصار العالم الذي لا يحرك ساكنا، ويرى في سرقة أراضي الفلسطينيين أمرا عاديا لا يستدعي حتى الشجب والإدانة.

ربما لم يكن صدفة أن تجري الانتخابات الإسرائيلية وأن تعلن نتائجها بالتزامن مع يوم الأرض، والنتائج الأولية ليست في صالح الأراضي الفلسطينية أبدا، اولمرت أعلن نيته مسبقا بأنه سيحدد حدود إسرائيل، وهي في نظره التي رسمها الجدار، يضاف لها التجمعات الاستيطانية الكبيرة، وإذا كانت القدس وما حولها من مستوطنات تشكل ثلث مساحة الضفة، فربما تشكل التجمعات الاستيطانية الكبرى إذا أضيفت لها الأراضي المسروقة من الأغوار الثلث الثاني، وبهذا لا يبقى للفلسطينيين سوى الثلث، إذا لم تكن النية مبيته للاستيلاء عليه، فماذا نحن فاعلون لمواجهة هذه السياسة؟ سؤال يجب أن يكون على أجندة كل فلسطيني.

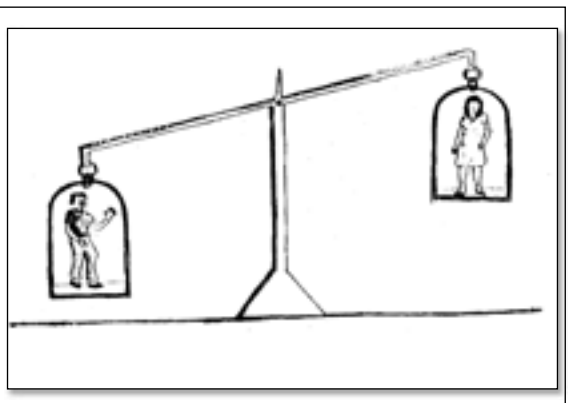

هو وهي

أنا رجل يخشى النساء... وأنت مرآته الكبرى

مهند صلاحات

منذ اللحظة الأولى التي عرفتك فيها، أدركت ان امرأة غير عادية دخلت حياتي لتمسح من ذاكرتي تاريخاً كاملاً من النساء... أنت أمرأة زمانية فعلاً، تحتوي التاريخ... وتكتب المستقبل. وأنا رجل يخشى أن يُفتضح تاريخه مع النساء، أو ربما يخشى الخوض في بحر النساء.

في كل اقتراب منك أدرك ان خطاي اللواتي تحملني إليك... يسرن بي الى حتفي الأكيد. وأنا رجل مغامر مجنون، قرر أن يخوض التجربة المجنونة الى حتفه على يديك دون أي التفات للخلف قد تشجعه على التراجع مسافة متر واحد عن المضي نحوك.

أنت... اسم يتكرر دوماً في صفحاتي المكتوبة فيسألني البعض من تكون؟ وأنا لا أملك خيارات للإجابة... فقد كانت الإجابة هي الخيار الوحيد حول أنثى كانت الخيار الوحيد فقل لهم: حبيبتي.

أنت امرأة حين يراها الناس في نصوصي وكلماتي...

تعريني من الألوان والإستعارات الأدبية واللغوية والمجاملات الاجتماعية وتجعلني منفرداً بالذات. يا امرأة صارت مرآة مرحلتي... هل جربت من قبل أن تكوني مرآة الأقلام في النص لكاتب يخشى الخوض في بحر النساء إلا في الكلمات؟؟ وهل سبق أن كنت إلهام وفكرة وكلمات المقال والقصيدة لكاتب مجنون من الشرق؟

بالرغم من أنك اليوم اسم تتكرر في سمائي الزرقاء اليومية... إلا أنك فضيحتي والاستثناء. أنت مرآتي الكبرى... وأنت الأنثى التي دعتني لأن أخرج عن نطاق شرقيتي فأحدث كل الناس عنك واكسر قواعد العرف والعادة وما اعتادت عليه العرب.

وأنا رجل قرر أن يقدم اعتذاراً رسمياً لدى وزارة النساء الشرقية عما اقترفته بتاريخ الشرق الحزين، وبأني خرجت عن كل قواعد الأولين، وقررت أن تكوني أول النساء، وأول الاسماء، وأول الأشياء، حتى وإن أغضب قراري هذا سادتنا الأولياء. أنت امرأة جعلتني أتذوق وبأني أتذوق الحب فيك... ولا أتذكر أني قرأت ذات يوم نصاً لشاعر قال فيه أن للحب طعماً...

وأنا أسكن الحب معك... رغم أن القانون لم ينظم في قانون المستأجرين والمؤجرين ما ينظم طبيعة المساكن التي ترتبط بالحب لا بعقد الإيجار لذلك (فنحن الاثنين خالفنا القانون)... بل كنا خارجين عنه بكل ما فينا من جنون مطلق منحنا إياه هذا الضيف الجديد الذي حل علينا، فبحثنا معاً عن مفردة نسميه فيها فلم نجد سوى فداء متبادل... لم نجد سوى ما استخدمه من سبقنا فيه... فكرنا... ثم قررنا ان نكون تقليدين فقط بالتسمية... وما سوى التسمية من طقوس اخترعناها ومارسناها حتى غدت ميزة أكثر مما هي حالة.

وما زلت تسألين ما هو الحب؟

الحب يا صديقة حالة مثل الإيمان نمارسها لحظة دون أن نفكر متى اعتنقناها، هي لحظة مطلقة لا نفكر حتى في تفاصيلها ولا في العودة عنها، وتضيع في خضمها كل مفردات الشك.

أعرف أن هذه الكلمات ربما ستسجل ضدي ذات يوم لكن حتى يأتي هذا اليوم أقول لك: إني وبالرغم من أنك كنت مرآتي الكبرى أراك أفقاً فوق المعتاد. أنت أنثى يترك غيابها أثراً للوجع في حياتي... وبذات الوقت تترك لي في حياتي رؤيا لم تكن من قبل تجاه أخرى حتى وصلت الرؤيا لأن أرى أطفالاً لنا يلعبون ويكبرون في حارتنا... في ذات المكان الذي مارست فيه طفولتي بعفوية وطفولة وأنك بعمرك المتبقي ستشاركينني كيف نقضيه معاً.. نكبر يوماً تلو اليوم نراقب فيه أطفالاً لنا يكبرون... ونراقب فيه الشيب يغزو رؤوسنا حتى تقولين لي كبرت يا حبيبي وصرت عجوزاً.

نضحك معاً في ظلال شجرة هرمت وتدلت أغصانها.. كانت من قبل حين زرعناها فتية يانعة خضراء. حتى الأحجار التي لا تكبر كما البشر نلاحظ التغيير في ملامحها عبر مرور الزمن الذي أوصلنا لان نكون عاشقين في نهايات العمر.

فضيحتي أنت حين تكونين الكلمة الوحيدة والأسماء التي تتعلق في كل خطة قلم أخطها لك ولغيرك من إناث لم ولن يكن بيوم بمستواك.

ربما أكتب للقهوة... او جريدة يومية تكذب مثل الأخريات... وربما لفلسطين الأنثى... وربما لعين الماء... وربما أكتب عن جارتنا وصوتها المزعج كل صباح والتي تفكر الولايات المتحدة في استغلال موهبتها في «الردح» اليومي لتصبح إذاعة رسمية لتحسين صورة الولايات المتحدة أمام العالم... وربما أكتب عن الدكتورة فيروز واعرف أنك تغارين من أقلامي... لكن مشكلتك الكبرى أنك فضيحة رجل يترجم مشاعره على الورق ويقرأها كل الناس ولست معشوقة شاعر يكتبُ عن الحب على الورق.

أعرف حجم اللحظات التي جَمعتنا معاً والتي تعني لي كل حياتي... واعرف أنه بإمكاني أن أقول لك: إني كنت أحبك قبل أن أعرفك... ولكن ما يهمني الآن أني أعرفك تماماً، وأني أيضاً أحبك تماماً.

أشعر بهذه اللحظة بضيق اللغة عن إيراد المعاني التي أود أن أقولها لك، بتقصير اللغة عن إنجاب المفردات التي أريد أن أقولها لك، ولعلك تعتبرين هذه صفة من صفاتي حين كنت أقول لك: إني ما زلت أبحث عن مفردة حب تكون بحجم هذا الحب والحنين إليك... وكنت دوماً تسألين: هل وجدتها؟؟

لذلك أيتها الأنثى التي وصلت للناس جميعاً تصاوريها... وعرفها الجميع عبر وصفي لها... أعترف أني اقترفت الحب بكامل أهليتي ووعي وإرادتي مصحوباً بسبق الإصرار والترصد بأن تكوني الأنثى الوحيدة التي اجتازت كل النساء في داخلي.. ومحت الماضي الطفولي من تجاربي مع النساء لتستوطنني وتضع عرشها فوق كل شيء... وأعرف ان القانون سيحاكمني بجرم تملك أنثى بطريقة غير شرعية... إلا أني كنت دائماً أحب اللاشرعية في كل شيء وتجلى ذلك فيك.

فقررت أني سأبقى أحبك حتى يمر العمر ونشيخ به معاً.